

Ballack

روايات مصريّة للأطفال

مصاص الدماء و
أسطورة الرجل الذئب

www.liilas.com/yb3



Ballack

الجزء الأول



مصاص الدماء

مقدمة ..

أعتقد أن الوقت قد حان كى أمسك القلم وأكتب عن كل الخبرات والتفاصيل الغريبة التي مرت بي فى حياتي الطويلة والتي لا أعتقد أن كثيرين قد مروا بها .

في البداية أعرفكم بنفسي : دكتور رفتت اسماعيل أستاذ أمراض الدم سابقاً بجامعة (....) وعدد لا يأس به من الجامعات في أوروبا وأمريكا ، السن يناهز السبعين ، عزب .. وكيف لمن عاش حياته أن يتزوج ؟

لقد عشت حياة حافلة .. وهبت نفسي تماماً للبحث عن أسرار ما وراء الطبيعة .. عرفت كل شيء ، فتحت تابوت الكونت دراكولا .. وقابلت المذعوبين في غابات رومانيا وبحثت عن وحش (لوخ نس) في اسكتلندا .. وقابلت رجل الثلوج المزعج في النبات .. ولبيت نداء النداهة في غيطان الذرة المظلمة .. واقتحمت قلعة الدكتور فكتور فران肯شتاين في تراسلفانيا .. وعرفت الزومبي في جامايكا ..

كل هذا سأحكه لكم بالتفصيل ، ولكن أولاً لنتطرق على كل شيء ، ضعاف الأعصاب ومرهفو الحس يمتنعون عن

١ - ليلة رهيبة ..

كنت في ذلك الوقت شاباً في الخامسة والثلاثين من عمرى لا أعرف شيئاً عن عالم ما وراء الطبيعة وكنت أؤمن أن العلم قد عرف كل شيء .. كنت سانجاً بالطبع .. سافرت إلى بريطانيا لحضور مؤتمر أمراض الدم الذي يحضره تجية من أستاذة هذا العلم في العالم كله ، لكن كما هو معروف - لم يستحضر ماضياً مشوقة إلى هذا الحد ، وقد قضيت في ذلك اليوم أربع ساعات من أسود ساعات حياتي أصفي لكلام كثير عن سرطان الدم . وأنيميا البحر المتوسط ... و ... و ...

كان الأطباء الجالسون قد أصببوا بذلك النوع من الملل والتعاسة والتجمد الفكري الذي أوثر أن أسميه (ذهول المؤتمرات) ، كانوا جميعاً قد فقدوا الإحساس بظهورهم وأطرافهم . وتحولت أرادفهم إلى جزء من المقاعد ، وبعضهم أخذ يزجي الوقت في الحديث همساً وهم يضعون أيديهم على أفواههم كتلاميذ المدارس ..
- شكراً ..

وللحظة لم يصدق هؤلاء المسؤولون آذانهم لكن الرجل

القراءة .. أما الشجعان فأنصحهم بألا يفروعوا هذه إلا في النهار ووسط أهلهم أو أصحابهم ، أما أنا الذي عشت كل هذه الأحداث فقد تبخر الرعب وصارت مجرد ذكريات باسعة عزيزة على نفسي ويغبل لي أتنى لو فتحت الباب فوجدت رجل الثلوج وافقاً أمامي لأخذته بالأحضان ودعوته على كوب من الشاي !
سابداً الآن حكاية ذكرياتي .. وستكون أولى قصصي هي قصة لقائي مع ملك الظلام .. الكونت دراكولا .

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

مجموعة كبيرة من الصليبان الأثرية ، ولوحة كبيرة للعشاء الأخير ، وكانت زوجته في منتصف العمر مهذبة رقيقة ، أما ابنته كاترين فكانت مراهقة لكنها أكثر تعقلًا من سنتها ..

وادركت كم هم متدينون حين تلوا قبل العشاء صلاة العائمة ، من ثم شعرت بالخجل من نفسي لأنني نسيت البسملة على الطعام قبل أن أبدأ الأكل .. تمنت أن بسم الله أوله وأخره ، وشرعت أملأ بطني من الأصناف جميلة المنظر، شبيعة الطعام ، التي عرف بها المطبخ الإنجليزي في أوروبا كلها ..

بعد العشاء - وفي حجرة المعيشة المريحة - جلس د. ريتشارد جوار المدفأة يدخن غليونه ويرشف القهوة في استمتاع وقد بدا لكلينا أن الحياة لن تكون أبداً أروع مما هي عليه الآن ..

قال د. ريتشارد : كيف تشعر وأنت من سلالة الفراعنة هؤلاء العبارقة ؟
ابتسمت ولم أدر بماذا أرد ، فقمت : .. بالندم وبالحسرة لأنني لم أحظ حضارتهم وكل ما اكتشفوه .. أحياها يخيل لي أنه لم يعد هناك ما يمكن اكتشافه بعد كل ما اكتشف حتى اليوم ..

كان قد انتهى بالفعل من محاضراته الطويلة ، من ثم تعللت تنهدات العرفةان بالجميل ، وبدأوا يصفقون له شاكرين !

كان المحاضر كهلاً وسيماً اسمه (ريتشارد كامنجز) قابله في مصر أكثر من مرة وانهارت به بشدة ، كان شامخاً مهيباً عصبياً مغرماً بالتاريخ والفن وكان يعيش تاريخ الفراعنة وكانت هذه نقطة تلاقينا ..

بعد المحاضرة قابله ، وعلى الفور هش وبش لى وبدت السعادة على وجهه ، بل إنه صافحتني (وهو شيء غير معهود من الإنجليز) ثم إنه سألني عن رأيي في المحاضرة فكتبت عليه في كراسة قائلًا إنها رائعة ، دعاني إلى بيته الريفي في (يوركشاير) : لأنني - كما قال - إنسان متحضر وشديد الأخلاص للعلم ..

لهذا - وكما علمتني التقاليد الإنجليزية الصارمة - وجدتني أجتاز مدخل حديقة البيت الإنجليزي الجميل في تمام السابعة مساء .. وكان القمر يرخي ضوءاً هادئاً رقيقًا على غصون اللبلاب المتسلية فوق سقف البيت المنحدر ، وفي الحديقة كنت تشم روانج غير مألوفة لزهور لا تعرف اسمها ..

وفي الداخل كان البيت أنيقاً بسيطًا ، بيت أسرة كاثوليكية متدينة .. وفي قاعة الجلوس كانت هناك

وهنا تبدأ - بمرونة فكرية - نجزم أنه في وقت ما ، في
مكان ما ، تواجدت مخلوقات كابوسية تعيش على الدماء
مثل دراكيولا ..
- أود !

كان هذا هو صوت كاترين .. وكانت قد دخلت الحجرة
لتها فسمعت آخر جملة ، وسرعان ما اعتذرت بأنها
ترغب في الصعود لحجرتها ..
قال د . ريتشارد :

- هكذا أفضل .. هناك أشياء لا يجب أن يقولها المرأة
 أمام النساء .. أنت تفهميني ..
واتجه نحو النور الكهربائي وأطفأه ، فساد الظلم
الحجرة فيما عدا نور المدفأة الهادى الخافت .. ، وقال
بطريقة درامية مؤثرة .

- هكذا يكون الجو مناسباً لهذه الأحاديث الرهيبة !!
أحسست بالرجلة تصرى في ظهرى ، وكان منظر لهيب
المدفأة يذكرنى بالمشوار الذى ينتظرنى بعد هذه الأمسية
في العودة لفندقى .. البرد والخوف ..
توقف د . ريتشارد أمام احدى اللوحات المعلقة يتأملها
على ضوء المدفأة المترافق ، وهمنى :

- لقد بحثت وبحثت سنوات طويلة مع أحد رفاقى من
علماء التاريخ .. واليوم أستطيع أن أقول إننا برهنا بالدليل

أعتقد أن زمن (الكشوف) قد ولى وبدأ زمن
(التطوير) ..

وهنا يبدأ دور رجل علم مثلى يؤمن بعلم ما وراء
الطبيعة ويؤمن أن كل أسطورة لها أصل ما لم يحاول
القدماء أن يتوقفوا عنده ، وهكذا نفتح أبواباً جديدة ..
وجال بيصره في الحجرة الخالية .. ثم همس :

- خذ عندك أسطورة الكونت دراكيولا .. إن أحذا لم
يحاول أن يتأمل فيها .. ، كانوا يبحثون في الكهرباء
والموجات الكهرومغناطيسية والانشطار النوى
وامضادات الحيوية فلم يتوقفوا عند هذه الأسطورة أبداً ،
هنا يأتي دور رجل علم مثلى يؤمن أن هذه الأسطورة لم
تأت من فراغ ويتوقف لحظة عندها ..

هناك شواهد تاريخية عديدة ومرتبة .. الدم هذا المسائل
الأحمر الغامض رمز الحياة والموت معاً .. خذ عندك
طقوس شرب الدماء في الهند .. المومياوات ذات الأنابيب
التي وجدوها في الصين ، وماذب أهل أسبرطة التي كانوا
يحسون فيها الدم الممزوج بالخل والتواابل ، ودماء
السلحفاة البحرية التي يشربونها لعلاج الروماتيزم في
جامايكا ..

وكتب السحر في العصور الوسطى ، وكلها تتحدث عن
طرد مصاصي الدماء كقضية مسلم بها ..

٤ - خادم الكونت ..

قلت في حماسة :

- لكن كلينا رجل علم ، وكلينا يعرف أن مالا يرى ولا يسمع ولا يشم ولا يعقل ، هو ببساطة غير موجود .. ». ابتسם د . ريتشارد في ثقة .. ثم اتجه نحو خوان في ركن الغرفة وفتح درجه وأخرج قلوفاً ممتلئاً ناوته لى ، وقال :

- أقرأ هذه الأوراق قبل أن تتحدث عن العلم ..
قبل أن أرد دخلت علينا (مسز كامنجز) باشة الوجه ..
وبانجليزية حاولت أن أجعلها راقية شكرتها على
العشاء .. ثم بدأنا حديثاً عن الطقس .. ثم أطربت بيتهم
وأبديت إعجابي بلوحة العشاء الأخير المعلقة .. فشرعت
تشرح لي قصة اللوحة ونظارات الدهشة المرسمة على
وجوه الحواريين ... و ... و ...

- هل تعلم سر تشاوم الغربيين من سقوط الملح على
المائدة ؟

فهزّت رأسى معتبراً بجهلى .. قالت :

- لأن (يهودا) الخائن مرسوم في اللوحة وقد انسكب
الملح على المائدة أمامه ..
هل ترى وجهه ؟ هذا وجه ارتسمت عليه كل خطايا

العادى على وجود الكونت دراكولا ..
دلت الكلمة الكابوسية في القلام فاجفلت لها فى
مقعدي ، والواقع أن د . ريتشارد كان مخرجاً مسرحيًا
رانغا ..

القصة كما يعرفها كل الناس هي قصة ذلك الكونت الذى
عاش فى ترانسلفانيا فى القرن الرابع عشر .. كان شريراً
 بكل ما فى الكلمة من معان ، ولكن لم يكن من الموتى
الأحياء .. إلا أن كاتباً نشطاً أسماه (دراكولا) أى
الشيطان ، وخلده « برام ستوكر » فى قصته الشهيرة
التي لم يزل الناس يرتجفون منها حتى اليوم .. ثم
السينما العالمية .. « فنسنت برايس .. لون شانس »
ليكملوا الصورة ..
اليوم أقول أنا : إن (دراكولا) وجد فعلًا كما صورته
القصص دون أية مبالغة ..

★ ★ ★

وقد فتحنا التوابيت كلها حتى وجدنا مومياء الكونت
وعلى صدرها وجدنا صندوقاً عاجياً فيه رسالة كتبها خادم
الكونت للأجيال القادمة :

- أكتب هذه الرسالة لمن يأتيون بعدي كى أحذرهم من
خطر داهم شنيع ، لقد اختار الشيطان هذه المنطقة النصبة
مهدًا له ..

أن (دراكيولا) هو أول مصاص دماء يولد في هذا
البلد ، إن سيدى الكونت معروف بين الفلاحين بقصوته
وطفلياته واستخدامه جيشاً من المرتزقة لفرض سلطانه ،
كل هذا جعلهم يسمونه (الشيطاني) أو (دراكيولا) ..
بدأ الكونت في كل مساء يشرب مزيجاً تعينا من دم
الخنازير والنبيذ والتوابيل بدعوى أنه يبعد الشباب ، وبدأ
يدرس السحر الأسود .. ويزيداد انتزلاً وغرابة ..

لقد بدأ وجهه يستطيل وصوته يأخذ نبرة عواء الذئب
في الليل المقرفة ، وصار يخرج في المساء ويعود في
النور ويزور بالمعابد في بدورهم القصر وحيداً .. بل إنه
لم يعد يأكل ..

وفي كتب السحر وجدت تفسير حالته .. إن هذا المزيج
الذى يشربه يقود إلى الخلود بأشنع الطرق .. إنه يحيل من

البشر .. إنه خاضع للشيطان لكنه مستسلم لهذا ولا يجد
سبيلاً آخر ..

كنت في هذه اللحظة قد دخلت في عالم اللوحة لكنى
كذلك كنت أفك فى المسافة الطويلة التى تفصلنى عن
الفراش الدافئ وقراءة هذا المظروف الذى أحمله ..
وحين عدت للنون تمددت فى الفراش وتأملت
المظروف الذى أعطانيه د . ريتشارد ، وكان مليئاً بأوراق
قديمة وصور فوتografية ..

كانت إحدى الصور لقصر أثري غريب ، وأخرى لتابوت
رخامى مغلق ، ثم صورة لشئ لم أفهم ما هو ، ثم صورة
للوحة زيتية تمثل رجلاً ملتحماً طويلاً القامة .. أما قطعة
الورق الصفراء المهترنة فكان بها خريطة مرسومة بحبر
أسود لقصر مجهول به سراديب سميت بأسماء ملافية لم
أعرف حتى كيف أقرؤها ..

ألغاز كثيرة جداً ..
أخيراً ورقة بإنجليزية - بخط د . ريتشارد - تقول :
« لقد بحثنا شهوراً في سرديب قصر (الكونت
دراكيولا) في ترانسلفانيا ، وهو الذى منعت السلطات
السياح من زيارته لأنه أيل للسقوط في أكثر من
موقع .. ، وأخيراً وجدنا الخريطة المعرفة التي دلتنا
على توابيت عائلة الكونت في سردار قديم مليء بالأتربة
والوطاويف ...

يُدْمِنُهُ إِلَى خُفَاظِ بَشَرِي يَتَغَذَّى بِدَمَاءِ الْبَشَرِ لِيَلًا وَيَنَامُ فِي
تَابُوتٍ نَهَارًا وَيَمُوتُ إِذَا رَأَى ضَوْءَ الشَّمْسِ ..
وَكَانَ لَابْدَ أَنْ أَعْرِفَ ..

صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي اسْتَجَمَعَتْ شَجَاعَتِي وَنَزَلتْ بِدَرْوَمِ
الْقَصْرِ حِيثُ تَوَابِيتُ أَسْرَتَهُ ، وَكَانَتْ رَائِحَةُ الْعَطْنِ تَمْلَأُ
الْمَكَانَ ، وَالْفَنَرَانِ تَمْرَحُ فِي حُرْيَةٍ تَامَّةٍ ، وَفِي تَابُوتٍ
رَخَامِي وَجَدْتُ مَا كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْهُ (هَذَا الْجَزْءُ غَيْرُ وَاضْعَافَ
فِي الْمُخْطَوْطِ) لَا تَنْفُسَ ..

وَوَجْهُهُ شَاحِبٌ شَحُوبُ الْمَوْتِي وَعَلَى شَفَتِهِ قَطْرَاتٌ
مِنْ دَمَاءٍ لَمْ تَجْفَ بَعْدَ ، وَعَيْنَاهُ مَفْتُوحَتَانِ تَحْدَقَانِ فِي
لَا شَيْءٍ ..

اقْتَرَبَتْ مِنْ شَفَتِهِ وَاسْتَجَمَعَتْ شَجَاعَتِي وَفَتَحْتَهَا ..
فَوَجَدَتْ صَفَرْيَنِ مِنَ الْأَسْنَانِ الدَّفِيقَةِ الْمُدَبِّبَةِ كَأَسْنَانِ
الضَّوَارِيِّ ، انتَابَنِي ذَلِكُ الرُّعْبُ الْمَجْهُولُ الَّذِي يَشَلُّ الْعُقْلَ
تَعَامِلًا .. جَرِيتْ فِي هَلْعٍ وَقَدْ تَسْلَطَتْ عَلَى فَكْرَةِ وَاحِدَةٍ :
الْهَرْبُ .. لَا أَدْرِي لَأَيْنِ .. وَنَسِيَتْ أَنْ أَعِيدَ غُلَقَ التَّابُوتِ ..
إِذْنَ غَدَا الْكَوْنُتْ مَصَاصَ دَمَاءٍ ، وَصَارَ عَالَةً عَلَى نَفْسِهِ
وَعَلَى الْآخَرِينَ ، إِذْنَ كَانَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ مَحْقِينَ حِينَ كَانُوا
يَرْسُمُونَ الصَّلَبَ حِينَ يَمْرُونُ بِالْقَصْرِ ، وَإِذْنَ كَانَ هَذَا هُوَ



وَقَدْ فَتَحَنَا التَّوَابِيتُ كَلَها حَتَّى وَجَدْنَا مَوْمِيَاءَ الْكَوْنُتْ وَعَلَى صَدْرِهِ
وَجَدْنَا صَنْدوقًا عَاجِيًّا ..

ونظرت إليه في هلع ..
لم يعد وجهه يمت بصلة للوجه الذي عرفته .. ناباه
الظفيعان .. بشرته الشاحبة المتجمدة .. رائحة الكبريت
التي تتحدث عنها كل كتب السحر ، تحرك أمام المرأة فلم
أجد له صورة ، حتى الشمعة لم تترك له ظلا على
الحانط ..

صرخت : يا إلهي .. أتفقدني !
أجل .. وتراءج لحظة .. فجريت للباب كما لم أجر في
حياتي إلى غرفتي .. أغلقت الباب بالعنق ، وعلى
الفراش أغمى على ، وكان آخر ما رأيته هو مقبض الباب
يتحرك ، لكن الباب كان مغلقا ..
نعم .. صار الكونت هو خليفة الشيطان في الأرض ،
إنه مريض وهو يعلم ذلك ، ولقد قررت أن أريحه ..
سأقتله اليوم ، كتب السحر قالت إنه سيموت على يدي
رجل لم يتلوث .. وأنا هو ذلك الرجل ، أنا القاضي والمدعى
والجلاد معا ، سأنزل إليه بالخنجر الفضي والشوم وقبل كل
شيء . ببأيماني ..

ولذن كنت ملوثا ولقيت مصرعه فليطعم من يجد هذه
الرسالة ما علمته أنا ولينتظر عودة الكونت كلما مررت منه
عام ، ولينتصر من هو منا على حق .

خادم الكونت / جوسيب ميخائيل

في عام الراب ١٥٥٩

سر جنة المسئول العجوز التي وجدوها قرب القصر ملقة
على الكلا وفي عنقه ثقبان أحمران ..
لهذا نزع الكونت السنان البيضاء والأيقونات ، ولهذا
كان ذلك العواء الذي يهز القصر في الليالي القمرية ..
ولهذا .. ولهذا .

عدت لكتب السحر أقرؤها ، إن مصاص الدماء
كابوس .. ومن واجبي أن أجد أنا دواء لهذا الكابوس
خاصة أنه لم يمتص دمي بعد ربما لحاجته إلى ..
إن قتل مصاصي الدماء أمر سهل ، فهو يموت من أي
رمز ديني .. إنه مخلوق رمزي ، وجوده رمز ومصرعه
يتم بالرموز ، الضوء واللون الأبيض والفضة والكتب
السماوية كلها تقتلها ، لكن الطريقة الفعالة هي وتد من
الخشب يدق في صدره ، ثم تلقي صلاة الموتى عليه ،
وتحذر كتب السحر من أنه : كما أن مصاصي الدماء رمز
فموته رمز ، إنه يعود للحياة مرة كل مائة سنة ليعيث في
الأرض فسادا ، ثم أنه بعد أن ينشر الرعب والموت يقتل
على يد إنسان لم يتلوث ... و ..

وهذا أحسمت بشيء غير عادي في الحجرة .. رفعت
رأس فوجدت الكونت (دراكولا) واقفا على رأسى يسد
الباب وهو يبتسم ابتسامة صفراء رهيبة ، لقد جاء الليل
دون أن أدرى وحين نهض وجد غطاء النابوت مكسوفا
وأندرك أنتى فهمت !



بعد نهاية الرسالة وجدت تعليقاً صغيراً بخط د. ريتشارد يقول :
- إنها و جداً موبياء الكونت وعلى صدرها هذا التحذير للأجيال القادمة ..

بعد نهاية الرسالة وجدت تعليقاً صغيراً بخط د. ريتشارد يقول : إنها و جداً موبياء الكونت وعلى صدرها هذا التحذير للأجيال القادمة ، وأن هذا يعني أن الخادم وفق في مهمته ..
انتهت المذكرات ..

أغلقت مفتاح الأياجورة وأغلقت عيني لأريحهما في الظلام .. إذن فهذه الخزعبلات هي ما يشغل ذهن العالم العظيم .. وكل هذا الكلام الأبله الذي يقولونه في أفلام الرعب الرخيصة عن الهندو والأرسبرطين ومومياءات الصين ... هراء ...

ومضيت أسلئ نفسي بمحاولة تخيل شكل الشر في العالم .. غول أحمر العينين .. أخطبوط له ستة أذرع .. لم أستطع .. ولسبب لا أدريه لم تفارق ذهني صورة وجه يهودا في لوحة دافنشي .. النظرة النحسة الأثمة .. نظرة الخاطئ الذي لا يملك سوى أن يخطئ ..
ولم أدر كيف ، ولا متى غرقت في سبات عميق ..

★ ★ ★
www.lilas.com/vb3
Ballack
٤٠

٣ - المومياء ..

- أريد منك أن تأتى إلى هذه الليلة .. هناك شيء جديد
أريد أن تراه .. نفس الموعد ..

مرة أخرى على العشاء أجلس أمام نظرات يهودا
الائمة ، على الناحية الأخرى من العائد وجلس البرفسور
« ماكس لوفارمسكي » وهو - كما عرفت أنت - يهودي لم
يكف لحظة عن الحديث عن معاناه في معتقلات
النازيين ، لماذا خلق الله العلماء ممثلي إلى هذا الحد ؟
بعد العشاء التفت إلى د . ريتشارد ، وقال :

- إن ما سأريك لك الآن هو خلاصة بحث سنوات من
عمرى أنا والأستاذ (لوفارمسكي) ، لا أطالبك أن تقتنع ،
لكنني أطالبك - وهذا من حقي - بالاحترام لكل
ما ستراء ، أضف لهذا أن ما ستراء هو سر سيظل طي
الكتمان ..

نطق العبارة الأخيرة بلهجة مرعبة تعمد الضغط على
كلمة (سر) فشعرت بالرعب ، وقلت :
- أعدك بهذا ..

نهضت معهما إلى القبو - قبو البيت الإنجليزى الآنق
حيث رائحة الخمر المعتق والعنطن ورانحة شيء ما لم
استطع أن أحبها .. أزاح د . ريتشارد الخيش عن
صندوق مغلق فى أحد الأركان .. وفتحه ثم هتف بلهجة
سردية :

- أنها المسادة .. ها هي ذى مومياء الكونت
دراكولا ! ..

في اليوم التالي وبعد انتهاء جدول أعمال المؤتمر لهذا
اليوم ، قابلت د . ريتشارد فى كافيتريا المؤسسة ، يرشف
القهوة ويدخن .. حبيبه وقد بدالى أن الليلة السابقة كانت
 مجرد شيء سخيف .. وبعيد جدا ..

قلب د . ريتشارد الكريمة ، على سطح فنجانه ، ثم
سألنى :

- قرأت الأوراق ؟
- نعم
- وما رأيك ؟

صارحته برأى فى الموضوع كله ، فالتفت عيناه
غضباً ووضع فنجانه فى الطبق :

- خزعبلات ؟ أنت تظن أننى وواحد من أعظم علماء
التاريخ فى أوروبا كنا ضحية خدعة فقرة لفقها لنا أحد
الظرفاء .. حسن .. لقد كلف هذا الظريف نفسه
ما لا يطيق وأعد كل هذه الأوراق ، وأعد المومياء وانتظر
سنوات عديدة حتى يخطر لأبله مثلى أن يبحث فى هذا
السرداب حتى يوجد هذه الأشياء .. بالله من دعابة !

- ليس هناك ما يثبت رأىي لكن ليس هناك ما ينفيه .
هز رأسه فى ضيق ، ثم عاد لبروده الموروث وقال :

سالت د . (ريتشارد) :

- لكن لماذا تضيئون كل هذا الوقت والجهود ؟
- الحقيقة ..

قالها د . (ريتشارد) في بساطة .. واستطرد :
- الحقيقة التي ستذهب العلم مرونة لا تقاس ، تكفي
لاستيعاب الأساطير وكل معتقدات الشعوب البدائية وتحدد
انقلاباً لم يشهد له العالم مثيلاً ..

إننا نقف الآن أمام الدليل الحي على وجود السحر ..
صعدنا لحجرة المعيشة بعد دقائق ، وجلسنا في صمت
حول مجموعة من المستندات القديمة ..
قلت في حيرة :

- لم أفهم بعد .. ما السر في اطلاعى أنا بالذات على
هذا ؟

- أنت مسلم يا د . (رفعت) ..
- نعم ..

- وأنا كاثوليكي و د . (لوفارسكي) يهودي ، وهذا
سيجعل شهود المعجزة هم نماذج لثلاثة أديان ..
- أية معجزة ؟
- عودة دراكولا ..

★ ★ ★

من العدل أن أقول إننى لم أشعر برهبة ولا فضول
ولا شيء على الإطلاق .. بل ظلت محتفظاً بتعبير رجل
العلم الذى لا (يندهش) من شيء ولكن (يهتم) به .
كانت مومياء عادية لها كل مزايا وعيوب آلة مومياء
آخر .. جلد متاكل .. خصلات شعر متاثرة .. أنف
مجدوع .. شيء واحد كان مختلفاً .. الأسنان .. ، لماذا
كانت في ذلك هذا الشيء تلك الانتباع الحادة الشبيهة بأنابيب
الذناب .. ؟

ابتسم د . (كامنجز) في تشف .. وهمس :

- ما رأيك .. ؟

لم أرد بل سالت (لوفارسكي) :
- كيف استطعتم احضاره هنا ؟

- لقد نجحنا في تهريبه بوسائل معقدة على أنه شحنة
أدوات حفر ، والسلطات في تراسلفانيا لا تعرف حتى
بوجوده هنا .. لهذا لم تبحث عنه أصلاً ..

أشعل د . (ريتشارد كامنجز) عود كبريت وقربه من
المومياء .. فجأة انطفأ .. فهتف :

- « هل ترى ؟ ثمرة غاز خامل يتصاعد من هذه
المومياء .. » لم أستطع أن ابتلع كل هذا .. لكنه واقع ..
أمامى الآن الدليل الحي على خطأ الافتراضات العلمية
وعلى وجود السحر ، وعلى قابلية كل الأساطير للصدق
وعلى ...

٤ - طقوس ..

مدد . (ريتشارد) يده الى الوراق وفتح احداها
وشرع يقرأ :

- تقول المستندات ان مصاص الدماء يعود للعالم كل
مائة عام لنشر الفساد والشر ، ثم يموت على يد شخص لم
يتلوث ..

وهنا قال د . (لوفارسكي) عابراً بلحينه :

- إن لدينا شواهد تاريخية على ظهور مخلوقات لها
صفات مصاص الدماء والعنور على جثث رقتها مثقوبة
في الأعوام ١٧٥٩ و ١٨٥٩ ، وبشكل أكثر تحديداً في
الليالي المقرمة التي يتواءزى فيها المشترى مع المريض ،
ويمكن القول إنه كان يقتل في كل مرة .. ويعود لصورة
المومياء التي نراها .

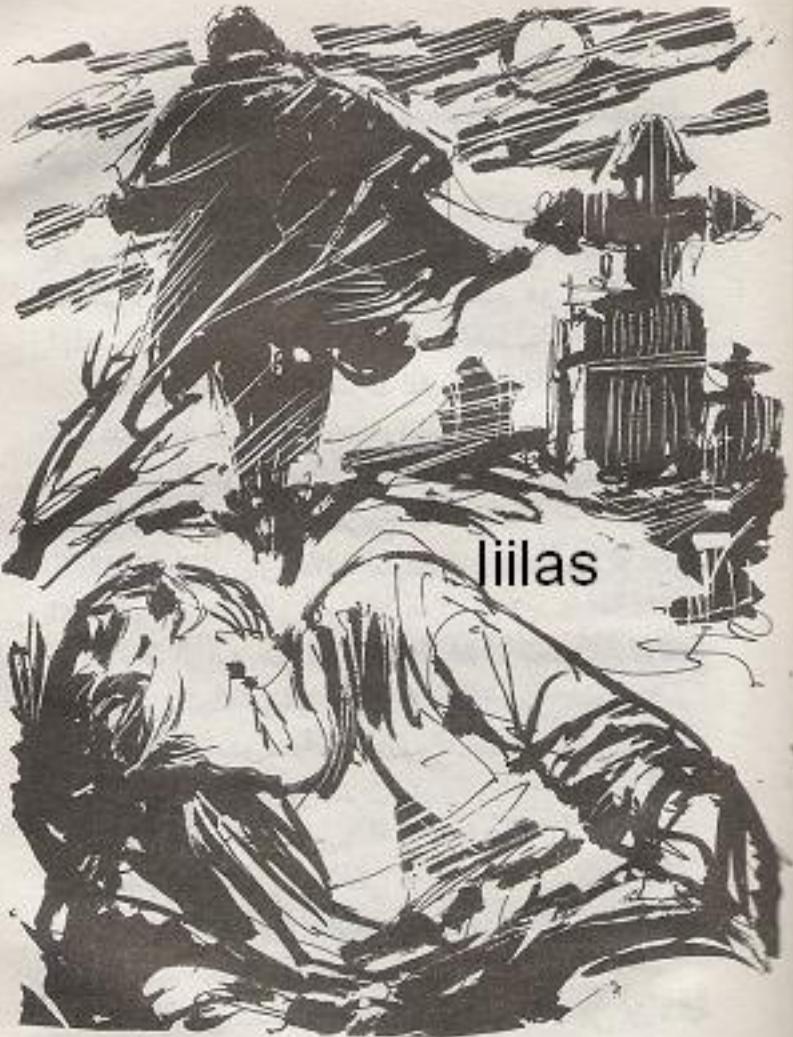
- وهل كان يعود من تقاء نفسه ؟

قال د . (لوفارسكي) :

- كلا .. بل بمعونة بعض الأوغاد الذين يؤدون بعض
الطقوس الازمة للبعث .

وهنا بدأت أفهم .. كنا في العام ١٩٥٩ .. أي
أن هذا هو العام المنتظر السعيد .

وفتح د . (ماكسن لوفارسكي) ورقة صفراء وشرع
يقرأ :



liilas

إنه كان يقتل في كل مرة .. ويعود لصورة المومياء التي نراها .

الطقوس، فكيف تأتى أن التابوت لم يزل في نفس المكان، والرسالة لم تزل حيث يتركها الخادم منذ خمسة قرون؟

احمر وجه د . (ريتشارد) فترة ، ثم همس في استسلام :

- لقد فاتني التفكير في هذا بالفعل ..
قال د . (لوفارسكي) :

- لربما فكر من يقتل الكوانت في كل مرة أن يترك الرسالة في موضعها للأجيال القادمة ؟
- ولماذا يحرص من يقتل الكوانت على إعادة جثته للتابوت في كل مرة ؟ لماذا لا يدفنها في أي مكان ؟ لماذا لا يمزقها أو يحرقها ؟ لم أعرف أن قتلة مصاصي الدماء منظمون إلى هذا الحد ؟

ساد الصمت للحظات وأدركت - في فخر - أن الرجلين يكرهانني في جنون ، لكن هذا هو العلم ، وهم يعرفان هذا خيراً مني ..

قال د . (ريتشارد) بعد تفكير :

- حسن يا د . (رفعت) . إننا مصممان على التجربة ، والتي لم يبق لها سوى أسبوع ، فإذا لم تقبل فعلى الأقل فعل ذلك الآن حتى يتسمى لي أن أجد عالماً أثق به من الجالية المسلمة في إنجلترا .. الوقت ضيق كما ترى .. من أنا حتى أرفض أمراً كهذا ؟ ستكون ليلة الأربعاء

- أول الطقوس هو أن يؤديها أشخاص بلغ منهم الشر كل مبلغ ... أى نحن .. !
قال د . (ريتشارد) :

- إننا عبيد الفضول العلمي ، وكلنا على استعداد لعمل أى شيء من أجل الحقيقة ... إن العلم هو ما نحيا من أجله ..

- ثانى الطقوس هو شرط القرن . أى أن تكون مائة عام قد مرت على مصرع الكوانت ..

- ثالث الطقوس هو شرط القمر . أى أن يكتمل البدر ويتواءزى المشترى مع المريخ .. الشرط الثانى أو الثالث سيتحققان بعد أسبوع . ليلة الأربعاء ..

الشرط الرابع هو شرط الوطواط .. يجب أن يوضع على صدر الجثة مومياء وطواط وهذا ليس صعباً . الشرط الخامس هو شرط الدم .. بحيث أن يوضع دلو من الدم بجوار المومياء .

- دم بشري ؟

- لم يحدد النص ذلك .. وهنا لاحظت شيئاً .. التمتع عيناي في فخر كأتنى طفل فاز في لعبة المساكة ، وصحت :

- لحظة من فضلك .. التاريخ يحكى أنه - في كل مائة عام - كان بعض الأوغراد يجدون التابوت ويمارسون نفس

والكونتيسات ... الخ ، لكنه اليوم سيعود في عصر انشطار الذرة والكهرباء . لن يكون سوى مجرد حيوان تجرب طريف ..

قال د . (ريتشارد) :

- سنقوم بنقله إلى معمل مظلم في جلاسجو ونقيده هناك ، ثم ندرس كل شيء ... تركيب دمه ... أنسجه ... ضغط دمه ... درجة حرارته ، وإذا ما شئنا ننشره .. لربما أتي اليوم الذي نعقد له فيه مؤتمرا صحفيا أو ننشر مذكراته في كتاب اسمه (عشت في تابوت) يحطم مبيعات السوق !

قالت :

- إن هذا المسعك محظوظ جدا ... لكن أتعنى لو عدت للحياة بعد مائة عام لأرى حال السياسة والعلم والمجتمع والناس وقتها ..

فاخت في المكان رائحة لاتطاق لأحساء الخفاش اللعينة ، واستمررنا في عملنا على مضض .

- اللعنة ..؟ فهمت الآن لماذا لا يبعث مصاص دماء إلا كل مائة عام ..

ثلاثة علماء يعملون في صبر من أجل إثبات وهم ...

★ ★ ★

٣١

ليلة مثيرة بكل المقاييس ... ، هكذا قلت لنفسي .. كنت مازجًا كما قلت لك ...

- إذن فلنبدأ ... الوقت ضيق كما قلت أنت ...

لم يكن هناك أي شيء يقنع العالمين سوى التجربة في ذاتها ، وكانت واثقا من نفسى أننى بدأت أعد عبارات العزاء التى سأقولها لهم حين تشرق شمس يوم الخميس والمومياء لم تزل كما هي - مومياء - باللها من لحظة ! لحظة يعرف كل منها أنه أضاع عمره بطارد وهما .. باللحسرة ..!

كان الأمر واضغا في ذهني تماما .. هذه مومياء قام أحدهم بنشر أسمائها للتبدو كالأنواع وستظل كذلك ، لا أرى الموضوع على أي ضوء آخر .

في الصباح جاء (جوناثان) صبي البقال بلفة صغيرة اتضج أنها خفاش ميت اصطاده من الكنيسة المهجورة المجاورة ، وأخذ جنبيهين كاد يطير بهما فرحا .. وجذبت أنا و د . (ريتشارد) نحنط الخفاش في الحديقة مستعملين الفورمالين .

- لنفرض أننا لم نستطيع السيطرة على دراكولا حين ينهض . فماذا نفعل ؟

قال د . (لوفارسكي) :

- إذا نهض ، لقد كان مفرغا في العصور الغابرة .. عصور الشمعدانات والعربات التي تجرها الخيول

٣٠

٥ - شيء ما ..

جلست في حجرتى المريحة التي أعطانها د . (ريتشارد) في بيته الريفي الجميل .. كنت قد عاشرت الفندق من ثلاثة أيام، لكنني تركت هنالك أمتتعتني لسبب ما ، لم أدر ما هو ..
شعور غامض في أعماقى جعلنى أترك جزءاً من ذاتي خارج جدران هذا البيت .
أشعلت سيجارة وشرعت أفك .. ما الذي جعلنى أقدم نفسي في هذه القصة ؟ .. إنه ذلك الواقع المجنون بالجهول .. تلك اللذة الحريرة الكامنة في قصص جذبني عن الغولة والنداءه ، وكانت أتساءل : كيف تبدو هذه المخلوقات ؟ ! .. ولماذا !

اختار الفلوكلور الشعبي لها صورة الأنثى .
ثم كبرت وبدأت أذهب للسينما .. وشاهدت (لون شانى) - ذا ألف وجه - (وفنسنت برايس) يلعب دور الكوتن الغامض شارب الدماء .
لكم فتنتني شخصية (دراكيولا) .. لكم حيرتني ..
ولكم أفرزعني !
والليوم .. هانا ذا قاب قوسين من حقيقة هذا الكابوس ،
بل إن - صدق أولاً تصدق - مومياء هذا الكوتن ترقد في

بدروم البيت الذى أنا فيه الان ! .. بل إن موعد استيقاظها هو بعد ثلاثة أيام لا أكثر ! ماذا سيقول أصدقاء طفولتى فى (المنصورة) لو عرفوا ما أنا فيه الان ؟
الآن كل شيء معذ .. دلو دم الخنزير .. الخفاش المحنط .. ورفقة الثنين من العلماء حادى المزاج لا بهمما مسوى العلم أيا كانت نتائجه الوبيلة .
أضئلت الأباجورة فوجدت جوار السرير مجموعة كتب ، وعلى السطح كانت رواية (برام ستوكر) الشهيرة (دراكيولا) ، لابد أن د . (ريتشارد) تعمد وضعها جوار سريرى لجعلى أعيش فى (الجو) ..
أطلقت سبة فى سرى ثم فتحت الرواية وبدأت أحداثها تجرفى .. يا للخيال المروع العبرى العريض .. ! لكم أحصد مؤلفها .
كنت قد وصلت للجزء الذى يدخل فيه الكوتن على ضيفه الغافل موثق العقود (جوناثان هاركر) وهو يحلق ذقنه .. وهنا يفكر الموثق : كيف لم أر هذا الرجل فى مرآة العلاقة ؟ .. وتتصلب عينا الكوتن على جرح فى عنق موثق العقود نجم عن العلاقة ... و ...
كنت قد وصلت لهذا الجزء حين دق الباب فأجلبت .. ثم عدت لعالم الواقع ، فنهضت للباب وفتحته ، كان القادم هو د . (ريتشارد) ..

- هل نمت ؟
 - من الواضح أنتى لم أفعل ..
 نظر إلى الرواية على الفراش .. وضحك :
 - إذن أنت تستعد لضيفنا ؟
 ضيفنا ؟ .. قلت في حنق :
 - تبأ لها من راوية ؟
 - وماذا تعلمت منها ؟
 - تعلمت ألا أخلق ذقني أمام (دراكوبولا) نلا أجرح
 نفسي ، وعندئذ ..
 - وماذا أيضا ؟
 - تعلمت ألا أثق بالأشخاص الذين لا تعكس صورتهم
 في المرأة ! ..
 انفجر د. (ريتشارد) يضحك .. ! كان يرتدي الروب
 وتحته قميص وربطة عنق ، وقد بدا غاية في الاناقة
 والوسامة ، ثم أنه أشعل سيجارة - ولم يقدم لمى واحدة
 كعادته - وجال بنظره في أرجاء الغرفة .
 - لماذا لا تتضع بعض الآيات القرآنية هنا وهناك ؟
 أشرت إلى الكومودينو بجوار الفراش ، إلى المصحف
 الصغير الذي أعطتنى إياه المرحومة أمي قبل أول سفر لي
 بالخارج .



وهنا يفكك المؤمن : كيف لم أر هذا الرجل في مرآة الحلاقة ؟

الضوء ! . رب زاوية انكسار كاملة تحيل العاء إلى مرآة ،
 فلماذا لا تتحول المرأة - في زاوية ما وإضاءة ما - إلى
 سطح غير عاكس ؟ ..
 وحتى إذا لم يعكس المرأة صورته ؟ .. ما معنى
 ذلك ؟ .. أنا لا أؤمن بالأشباح .. وحتى إذا طبقنا منطق
 الخرافية نفسها فلا توجد أى ضرورة لهذه الزيارة ، ولم
 يستتبعها شيء ..
 لماذا يريد د . (كامنجز) لقائي في البدروم ؟ .. طبعاً
 ليس للعب الورق ولا لمشاهدة مجموعة طوابعه ..
 وبالطبع ليس لامتصاص نمسي ، لأنني لا أؤمن بكل هذا
 الكلام الفارغ ..
 ما الذي يريد من مومياء (دراكيولا) ؟ .. ما الشيء
 الذي لا يريد أن يعرفه د . (لوفارسكي) ؟ !
 على كل حال مضت العشر دقائق ..
 ارتديت الروب وخرجت من باب الغرفة قاصدة
 البدروم .. ظلام الردهة وبقايا العشاء على المائدة لم
 ترتفعها مسز (كامنجز) بعد ..
 باب غرفة د . (ريتشارد) يفتح في بطء ..
 - د . (رفعت) ؟
 - نعم ..

- ها هو ذا .. لكن بغرض القراءة وليس لحمايةي من
 مصاص نعانك ..
 هز رأسه مؤيداً .. ونهض في تثاقل متوجهًا إلى الباب
 مارأها أمام المرأة المزخرفة المعلقة ... لا ! .. لابد أنت
 متواز الأعصاب .. هل المرأة غير مقصولة أم أن الإضاءة
 غير كافية ؟ أم أن هذا الرجل لا يعكس ظلال في المرأة
 بالفعل ؟ !
 التفتلى في اهتمام وسأل :
 - ماسر هذا الهلع على وجهك ؟
 هل أصارحه ؟ .. كلا .. كلا ..
 - لا شيء .. إنه مفعول روایتك لا أكثر ..
 فكر قليلاً ثم قال :
 - .. (رفعت ..) هناك شيء هام ..
 - ما هو ؟
 - شيء أريد عمله ولا أريد للدكتور (لوفارسكي) أن
 يعلم به ، هل تعييني ؟
 - أعدك ..
 - إذن اتبعنى إلى البدروم بعد عشر دقائق ..
 وألقى سيجارته وانصرف في تؤده ..
 بمجرد أن خرج أغلقت الباب وهرعت للمرأة .. إن
 صورتى واضحة فيها ، ولكن .. ما أكثر الأعيب

قالها في غموض وهو يضيق حدقتي عينيه مستطرداً :

- يبدو أن كلينا على حق !

- كيف ..

- الأمر واضح .. هناك من حاول استدراجك
للبرووم .. لهذا زارك في صورتى .

- هل ستفود لهذا الهراء ..

- قل لي .. ألم تلاحظ شيئاً غير عادى في هذا
الزائر ..

فكرة لحظة ثم قلت بلا مبالاة :

- لا شيء سوى أنه .. لم يكن يترك انعكاساً في المرأة !

www.lilas.com/vb3

Ballack

لاحظت أنه يتكلم بصوت عال .. فخففت صوتي في
همس كالفحيج :

- والآن هيا ..

- هيا ماذا ؟

- البرووم ..

- البدر .. هل أنت بكمال قواك العقلية ؟ !
ماذا يحدث ؟ .. عم وتحدث هذا المخبل ؟ .. لكن
وجهه كان جاذباً صارماً لا اثر للدعابة فيه .. كلماتى
اصطدمت بحاجز صلب بارد فسقطت مهشمة عند قدمى .

- ألم تطلب ذلك مني ؟

- دقيقة واحدة .. طلبت منك ماذا ؟

- النزول للبرووم ! ..

- متى ؟

- منذ عشرة دقائق في حجرتى ! ..

أعتقد أنه لابد من اختصار هذه المحادثة التي لابد أن
ادركت فحوها ، هو يعرف ويؤكد ويقسم أنه لم يأت
لحجرتى أبداً ، وأنا واثق تماماً أنه كان عندي لسبب يعلمه
الله وحده ، محادثة مملة كحوار الطرشان نتجتها أن كلاً
منا اعتقاد أن الآخر كاذب أو معقوه ..

- هل تعرف يا د . (رفعت) ؟

- أعتقد أن كل شيء يتوقف على د .. (رفعت)
سأله في دهشة :
- ماذا تعنى ؟

قال في ثقة ؟

- لاغبار على قصة د .. (ريتشارد) .. لكن قصتك
تحتمل المناقشة !

على الدم في عروقى :

- هل تعنى أنتي كاذب ؟

- لا يا صديقى .. بل أعني أنت واهم ..

هززت رأسى .. الواقع أنتي - أنت نفسى - لم أعد واثقاً
من شيء .. كل ما رأيت كان ملموساً ومادياً إلى حد
مرعب .. لكنى لم أهلوس من قبل ، لربما كانت كل
الهلوس مقنعة هكذا ..

ثم .. تذكرت شيئاً .. يالى من أحمق ! ..

- تعالىما معى إلى غرفتى ..

وفي غرفتى كان الفراش بحالته ، لأننى لا أرتب
سريرى أبداً عند الاستيقاظ ..

- تريان الآن ما أعنيه ..

وأشرت إلى رواية (برام ستوكر) المفتوحة ..
والمحض الصغير على الكومودينو .. موضوعات حديثى
مع زائر الليل ..

٦ - مزيد من الألغاز ..

هل لك في شريحة جامبون ياد .. (رفعت) ؟

سألتني مسر (كامنجز) في رقة ونحن جلوس حول
مائدة الإفطار ، هززت رأسى أن لا .. فصبت المزيد من
القهوة في فنجانى قائلة أنتي أيدو منها ..

- كانت ليلة شديدة سيدتي ، زارنى أحدهم ، و ..
وهنا آخرستى نظرة شذراء من عين د .. (ريتشارد)

كى لا أسترسل فى كلامى ، غريب هذا !! .. فى شمس
الصباح كان ما حدث أمس يبدو ضبابياً وسخيفاً ..

إن ما حدث ليلاً هو دعاية لأكثر ، أو هو على أقصى
افتراض هلوسة شاذة نتيجة لقراءاتى لقصة (برام
ستوكر) الشنيعة ..

بعد الإفطاردخلنا مكتب د .. (ريتشارد) والتلقينا حول
صاحب الدار الذى أشعل سيجارة .. وقال مبتسماً :

- أمس تلقى د .. رفعت زيارة لطيفة ..
وحكى قصة الأمس لـ د .. (لوفارسكي) الذى أخذ
بعضى وهو يرمقى بعينين حادتين كالصقر .. فما أن
انتهت القصة حتى ساد الصمت ، بعد دقائق قال
د .. (لوفارسكي) بصوت رتيب كالقضاء :



نظر إلى ما أشير إليه .. الدليل الدامغ على سلامة عقل .. هناك على مشمع الأرضية كان عقب سجارة محترق ..

قال د . (ريتشارد) :

- هذا لا يعني شيئا .. من الطبيعي أنك أقحمت في هلوستك بعض الموجودات الحقيقة في غرفتك .
- وهذا ؟

نظرا إلى ما أشير إليه .. الدليل الدامغ على سلامة عقل .. هناك على مشمع الأرضية كان عقب سجارة محترق ، سجارة من النوع الذي يدخنه د . (ريتشارد)
ولا يدخنه أحد غيره ..

قال د . (لوفارسكي) :

- شيء بسيط أيها الشاب ! .. لقد قدم لك د . (ريتشارد) إحدى سجائنه ..

- إنه لم يقدم لي سجارة في حياته ! ..
- اسمع يا صديقي .. إن الحياة مليئة بالتعقيدات ولا تحتمل أكثر .. لماذا تملأ الدنيا صرacha على ..

على عقب سجارة ؟
صرخت في غيظ .

- أنا أقول إنني واثق أن شخصا - أو شيئا - اقتحم حجرتى ليلاً ودعانى للنزول للبدرورم ، وهذا العقب هو التدليل على صدق كلامى ..

ثم نظرت لـ د . (ريتشارد) ، متوجلا :

ونزلنا للبدروم .. التابوت الكنيب المعلم ورانحة
العطن .. لا يوجد شيء جديد أو يستحق الانتباه ، لا شيء
يدل على شيء ..

يا لغرابة ما نحن بصدده !

لقد بقى يومان على الموعد المشهود وما زال كل منا
عند رأيه ، لكن علامات الاستفهام تتكرر حول كل شيء .
من سيسألك ضحكة الانتصار ليلة الأربعاء؟

★ ★ ★

- د . (ريتشارد) .. لماذا لا تقول إنك كنت تمزح
وتروينا من هذه السفسطة ؟

- تحشم أيها الشاب ! .. أنا لا أكذب ..

- لكن التفسير العلمي الوحيد هو أنك تكذب .

- أنا لا أسمح .. وأطالبك بأن تكون أكثر لياقة مع رجل
في سن أبيك ..

واشتعلت الكلمات . وأظن أنت كنت على وشك ضربه
أو هو على وشك طردي ، لو لا أن تدخل د . (لوفارسكي)
بجسده البدين بيتنا بهذه النقوص :

- يا سادة .. أرجوكما ! .. لقد نسينا شيئاً .

توقفنا عن المناقشة ، كي نعرف ما سيقوله هذا
اليهودي :

- ما الذي كان على د . (رفعت) أن يعطيه في
البدروم ؟

- لا أدرى ..

- ولا أنا ..

- إذن ننزل البدروم وتلقى نظرة .

٧ - زائر الليل ..

في منتصف الليل صحوت على صوت زجاج يتهشم ..
استغرقت دقيقة كي أفهم أين أنا، ومن أنا، وماذا أفعل
في الفراش .. ثم عشر ثوان أخرى أثب من الفراش حافيا
- وبالبيجامة - إلى باب الغرفة .. ثم إلى الطابق الثاني
حيث سمعت الصوت ..

هذه غرفة مكتب د . (ريشارد) ، لا أحد هناك لكن
الستارة كانت تتموج في صمت في هواء الحجرة المظلمة
ما دلنا أن اللوح المكسور هو هنا ..

أشعلت النور فلمحت شيئاً زجاج على الأرض ..
وبالطبع - كما هي العادة معى - نست على شظيتيين بقدمى
الحافية فأطلقت سبة .. وجلست على الأرض كى
أخرجها ..

ثم .. لمحت عيناي ..

هناك - خلف المكتب - كان شخص مختبئاً كى
لا أراه .. الشخص الذى اقتحم النافذة الزجاجية بهذا
العنف من أجل شيء لا أعرفه .. ولو جربت من الغرفة فقد
يهاجمنى؛ لذا نشاغلت بمعالجة قدمى وأنا أسب بصوت
مسنوع ، الدم يصفر فى أذنى والأدريرنانين يرتفع فى دمى

وقبضتى تتورّ ، ثم فى لحظة واحدة وثبت فوق المكتب
وألقيت نفسى على هذا المتلتصص ..

تنقئت لكمّة فى بطني جعلت الهواء يخرج من فمى ..
إلا أنى تحاملت ورفعت ركبى لأركله أسفل بطنه ..
سمعته يلن .. ولكن من هو ؟

كان مثلثاً .. ولم أر سوى عينين ياردينين كثناء
لندن ، رمادينين كضبابها ، وجهت لكمّة قوية إلى أنهه
خلف القناع حتى أنتى شعرت بغضروف أنفه يكاد
يتهشم .. ثم لكمّة فى صدره ..

لم أكن رياضياً فى حياتى ، ولم يكن الكاراتى والجيدو
والتايكوندو معروفين لجيولنا ، إلا أن كل إنسان يمكنه أن
يقاتل بشراسة ، طالما وجد هدفاً قوياً .. وهل يوجد هدف
أقوى من أن أمنع هذا المتعصب من قتلى ؟

والتحمنا فى عراك طويل .. كان الوغد قوياً وشرساً
لكنّى كنت حانقاً وخانقاً مما جعلنى خصماً مساوياً له
تقربينا .. وفجأة امتدت يده إلى شيء ما على المكتب ،
وانهالت فوق رأسى ضربة من جسم معدنى ثقيل .. كلا..!
لن أفقد وعيى .. ! تحاملت .. لكن الأرض هي التى
خذلتني ! ..

لابد أن فترة فقدانى الوعى لم تزد على خمس دقائق ..



وكان قد قرب وجهه من الكونت وهو يهمس بكلمات مالم أتبها

وعلى الأرض كانت أداة لتفقيب الورق ملقة بجانبي هي
التي حسمت المعركة السابقة ..
كان الغثيان يقتلني لكنى نهضت .. جريت متراجعا للباب
المفتوح ، ونزلت السلام جريا إلى المكان الذى كنت
أعرف أنى ساجده فيه ، البدروم ..
نعم .. كان هناك في الظلام بجوار تابوت الكونت
(دراكيولا) وقد أضاء الكشاف الكهربى ووضعه بجواره
على الأرض ، وكان قد قرب وجهه من الكونت ، وهو
يهمس بكلمات مالم أتبينها .. كأنها صلاة وثنية غامضة أو
شيء من هذا القبيل ..

اه ! .. ألم ينتهي هذا الجنون ؟
صرخت صرخة أفزعتنى أنا نفسي .. ورفعت زجاجة
ملقة على الأرض ولوحت بها في الهواء كالهراوة ثم
انقضضت على هذا المدعى .. ولو لا أنه أجمل لهشمت
الزجاجة جمجمته في ثوان .. وثبت كالملسوع إلى الكشاف
الكهربى فاطفاء .. ثم انهالت على لكماته في الظلام ، إن
هذا الوغد يرى في الظلام كالوطاويط ..
وفي هذه المرة لم أقاوم كثيرا .

ظللت فترة ألهمت في الظلام ومذاق الدماء العالج يملأ
فمي .. أعتقد أننى في حاجة لاستعادة لياقتى في المرة
القادمة .

نور البدروم يضاء .. د . (ريتشارد) و (لوفارسكي)

أه من هؤلاء الانجليز ! .. يزيد مني حين أجد لصاً في
دارى أن أنهض من الفراش وأمشط شعري وأرتدى ثياب
السهرة ثم أذهب إليه وأنحنى كجنتلمن قالاً :
- سيدى .. إذا لم تغادر دارى خلال دقيقة أعتقد أننى
سأصل بصددمكم إلى قرارات خطيرة !

أه .. تبا ! . المهم أننى عدت لحجرتى وارتديت
ثيابى ، وتأملت وجهى فى المرأة .. لم تكن هناك عاهات
مستديمة والحمد لله ، ولكن ماذا سيكون تفسير هذين
السيدين لمعامرتنى القصيرة الفاشلة ؟
وفي غرفة المكتب حيث الستارة لم تتطاير .. سالت
الرجلين :

- والآن .. ما قولكما ؟

قال د . (لوفارسكي) متحاشيا النظر فى عينى :
- إذا أردت رأىي لقلت إن هناك أحاداثاً غامضة لا يجمع
بينها سوى شيء واحد .. في كل مرة إما أن نقايلك متوجهًا
للبدروم أو نانما فيه ..

قال د . (رينشارد) :

- إننى أتساءل عن قصتك القادمة التى ستثير بها
نزولك للبدروم ليلاً ! .. صحت فى غيبظ وقد بدا لي
الرجلان شديدى السماحة والجهل .

بثباب النوم وعيونهم متنفخة من أثر النعاس يحيطون
بى .. صحت فى سخرية مرة :
- أهنتكم على نقاط ضمائركم .. ! إن الضجة التى
أحدثتها كانت كفيلة بإيقاظ الموتى ، وأنتم لم تصحووا إلا
الآن .. !
وشرعت أحلى محدث ، وما أن سمع د . (رينشارد)
قصتى حتى امتعق وجهه ووثب كالقط إلى غرفة المكتب ،
وهنا جال خاطر مرعب فى ذهنى .. ماذا لو عاد - كعادته -
من أعلى ليقول إنه لا يوجد لوح زجاج مكسور وأنى كنت
أهلوس ؟

إلا أنه عاد بعد دقائق وقد بدا عليه الاهتمام وهو يحمل
معه أداة لتنقيب الأوراق تلك التى كادت تهشم رأسى منذ
دقيقة .. وقال :

- إنك كنت محظوظاً يا صديقى ..
أشرت إلى الزجاجة المكسورة الملقة على الأرض
وقلت :

- والوعد كذلك محظوظ مثلى ..
- د . (رفعت) إننا أنساس متحضرون ، وأرى أن
ماحدث لا ينبغي أن يمنعنا من ارتداء ثياب لائقه حتى
نناقض الأمور فى مظهر متدينين :
- سنلتقط فى غرفة مكتبي بعد عشر دقائق !

- هناك ما هو أغرب .. هل لاحظتم كسر الزجاج ؟ ..
 إنه مجرد فتحة صغيرة لا تسمح أبداً بمرور إنسان ..
 نظرت في عينيه .. وقلت :
 - لكنها تسمح بمرور ..
 نعم .. تسمح بمرور وظواط ..!
 قال د . (لوفارسكي) :
 - المزيد من الأنفاس .. ! هل تريدان رأيي ؟ .. أعتقد أن
 بعض الجماعات السرية أو عبادة الشيطان على علم بوجود
 المومياء لدينا .. وهم يحاولون سرقتها ..
 - لكن أحذا لم يعلم ما نعلم نحن ..
 - طالما علمنا ما علمناه من المخطوطات فماذا يمنع
 أن يعلم آخرون نفس الشيء ؟
 - إن هذا يدعونا لمزيد من الحذر .. لم يبق سوى يوم
 واحد على كل حال .. فلندعه يمر على خير بأية طريقة ..
 ثم هز إصبعه في وجهي .. وقال مخذداً :
 - لا مزيد من الزيارات الغامضة للبدروم لأن العرة
 القائمة لن تمر على خير .. أريد أن تعود لمصر قطعة
 واحدة دون ثقوب !

ونزل الرجالن السلم في حين تخلفت عنهما .. كنت
 أفكـر .. ما دام اللص لم يدخل من النافذة فهو أحد المقيمين
 بالبيت .. وما دام قوياً فهو رجل .. وما دام ليس أنا فهو

- وهل تظنـان أنـى أحبـ هذا الـبدرومـ العـطنـ وتـكـ
 المـومـيـاءـ السـخـيفـةـ ؟ .. هلـ أناـ أـكـذـبـ لأـبـرـ عـشـقـيـ الشـدـيدـ
 لـلـجـلوـسـ جـوارـ التـوابـيـتـ فـيـ الـظـلـامـ ؟ ..
 لمـ يـسـتـطـعـ دـ . (ريـتـشارـدـ)ـ أـنـ يـمـنـعـ اـبـسـامـةـ عـلـىـ شـفـتـيـهـ
 إـثـرـ كـلامـيـ .. وـرـفـعـ يـدـهـ مـحاـوـلـاـ تـهـدىـتـيـ : ..
 - أناـ لـمـ أـتـهـمـ هـذـاـ .. وـلـمـ أـقـلـ هـذـاـ .. وـلـكـنـ قـلـتـ إـنـ هـذـاـ
 مـحاـوـلـةـ مـاـ لـجـعـكـ تـنـزـلـ الـبـدـرـوـمـ وـحدـكـ لـيـلاـ ..
 - إـنـ هـذـاـ لـمـ يـدـرـ بـخـلـدـيـ قـطـ ،ـ لـكـنـ صـحـيـ ..
 - ولـنـفـرـضـ هـذـاـ .. فـمـاـ الـمـفـرـوضـ أـنـ يـحـدـثـ هـذـاـ ؟ ..
 - هـذـاـ مـاـ اـجـتـمـعـنـاـ لـلـتـفـكـرـ فـيـهـ ..
 - وـلـكـنـ لـمـاـذـاـ لـاـ يـكـوـنـ زـاـئـرـ الـلـيـلـةـ لـصـاـ .. لـصـاـ عـادـيـاـ ..
 نـظـرـ لـىـ دـ . (لوـفـارـسـكـيـ)ـ نـظـرـ ذاتـ مـعـطـيـ .. وـقـالـ : ..
 - اللـصـوصـ لـاـ يـجـمـعـونـ جـوارـ التـوابـيـتـ لـيـتـلـوـ صـلـةـ
 غـامـضـةـ .. أـنـتـ قـلـتـ هـذـاـ بـنـفـسـكـ ،ـ هـلـ تـذـكـرـ ؟ ..
 أـضـافـ دـ . (ريـتـشارـدـ)ـ : ..
 - وـالـلـصـوصـ لـاـ يـحـطـمـونـ الزـاجـ بـهـذـهـ الرـعـونـةـ ،ـ هـذـاـ
 اللـصـ أـحـمـقـ أـوـ هـوـ أـرـادـ أـنـ تـمـعـهـ أـنـتـ ..
 - وـالـلـصـوصـ لـاـ يـدـخـلـونـ الـبـيـوـتـ مـنـ الطـابـقـ الثـانـيـ
 مـاـ دـامـ عـنـهـمـ نـوـافـذـ الطـابـقـ الـأـوـلـ ..
 تـحـنـحـ دـ . (ريـتـشارـدـ)ـ وـنـهـضـ إـلـىـ الـسـتـارـةـ وـأـزـاحـهـاـ ..
 ثـمـ قـالـ :

٨ - ليلة الأربعاء ..

تم اعداد كل شيء ..
وفي ذلك اليوم خرجت مع ممز (كامنجز كاترين) في
نزلة رانعة في الريف الإنجليزي وتحديثا عن كل شيء فيما
عد المومياء الموجودة بالبروم، وقد خشيت أن ينزلق
لسانى بشكل أو بأخر، لكنها كانت تعرف كل شيء فيما
يبدو ..
عدنا للبيت عصر فتناولنا وجبة لا يأس بها ، ثم دعانا
د . (ريتشارد) إلى النوم لأننا سنقضى الليل ساهرين .
وفي حجرتى غرفت في سبات عميق ..
ترانسلفانيا .. الشيطان .. دراكولا .. د . ريتشارد ..
سالى .. يهودا .. دم وخفاش وقمر .. وخفاش ودم .. مائنا
عام .. جنين الشر .. (دراكولا) يدخل الغرفة .. جنت
لاصطحبك .. كلا .. ليس أنا .. دعني فرصة أخرى .. أنا
لست عزرايل .. أنا مجرد مصاص دماء بانس .. نظرة
يهودا .. ليتنى كنت خفاشا يغرد في الصباح .. كلا ..
الخفاش لا يغرد .. كانت فلاحة ذاهبة للحقل فى قريتى ..
حين .. حين ماذا .. لا أذكر .. لا تقترب منى ..
وللحظة لم أعرف أين أنا .. هل ظلام الغرفة حولى هو
جزء من الحلم؟ أم أنى أنا نفسى حلم، و.... لقد غابت

أحد العالمين .. وما دام رمادى العينين قوى البنية فهو
ليس د . (لوفارسكي) ، إذن هو ..
نعم .. إن هذا يتفق مع ما حدث بالأمس .. دانما هو
د . (ريتشارد) في كل حادث غامض ثم يظهر ليؤكد لي
أنتى أهلوس ، لكن .. ما الذى يخفيه هذا الرجل ؟
إنه يداعبى دعابة عملية قاسية أو هو مخبول تماما
وهو شيء لا أستبعده .. إن من عاش حياته وسط هذا
الهراء لا بد أن يكون مخولا ..
ولكن لماذا أنا بالذات ؟ .. لأننى أصغرهم سنا وأكثرهم
رعونة .. ولأنه لم يزل يحمل احتقار المستعمر لأهل البلد
الذى استعمره .. لم تكن ثلاث سنوات قد مضت منذ حرب
السويس .. فهل هو ذلك الإنجليزى المتعصب الحاقد
حقا ؟ .. لا أفهم ..

على كل حال لم يبق سوى يوم واحد .. وليس فى
جعبتى سوى الحذر والانتظار ..
دخلت حجرتى وأغلقت بابها ، اتجهت للشباك
وفتحته .. نظرت إلى أعلى .. إلى نافذة غرفة المكتب
المكسورة .. خيل لى أن شيئا ما يخرج بيضاء من فتحة
الزواج .. ثم تبيّنت ما هو .. كان وطواطا صغيرا سرعا
ما فرد أجنبته مرفرفا ودار دورتين فى الهواء ثم اختفى
فى الظلام .. !





- د . (رفعت) .. لقد حدث شيء ..
- (كاترين)؟ ماذا أتي بك هنا .. وماذا يحدث ؟ ..

الشمس وقد جاء الليل ، ولكن لماذا لم يوقظني أحد ؟ ..
وهنا أدركت ما أيقظنى . إنه صوت خطوات غريبة
تمشي في الردهة خارج الحجرة .. ثمة شيء مريب في هذه
الخطوات .. إنها ليست خطوات إنسان يمر عرضا . بل
هي خطوات واقفة متأنية تهدف إلى أن اسمعها أنا ! ..
بحفر مدلت يدي للاباجورة بجوار السرير وفككت
سلكها واتخذت منها أداة صالحة للضرب ، وببطء اتجهت
للباب . وهناك لشدة ذهولى - تجددت الخطوات - وتجمد
الدم في عروقى .. صاحب الخطوات يقف الآن خلف الباب
مباشرة !!

أهو (ريتشارد) ؟ أم (لوفارسكي) ؟ ولكن لم هذا
التلصص ؟ مدلت يدي إلى المقبض وفتحت الباب . وعلى
ضوء الردهة الخافت وجدت خيالا مالوفا ..
- د . (رفعت) .. لقد حدث شيء ..

- (كاترين) ؟ ماذا أتي بك هنا .. وماذا يحدث ؟ كانت
شاحبة ترتجف ، وعلى عينيها الزرقاء جميلتين
غشاوة متجمدة من الدموع لم تنحدر بعد ..

- لا أحد هناك :
- لا أفهم ..
- لا أحد هناك .. كل غرفهم خالية ، مامى ودادى
و د . (لوفارسكي) ..

- هل بحثت عن الآخرين في البيت جيداً ؟
- « وفي الحديقة ... وفي البدروم ... لا أحد ... لقد
تركونا ... » أشعلت سيجارة وجلست على حافة التابوت
مفكرة .

- هل نطلب الشرطة بالטלيفون ؟
- ليس لدينا واحد ، أقرب تليفون على بعد نصف ساعة
مشينا .

- رائع !!
وهذا ساد الظلام تمام البدروم .. لقد انقطع التيار
الكهربائي ويا له من وقت لانقطاعه ..

أشعلت شمعة كانت ملقاة على الأرض .. ظلانا
ساقطان على الحاطن كان علائقين يراقبان ما نفعه
ونقوله ..

قلت وأنا أنفث دخان السيجارة :
- هل تعلمين يا صغيرتي ؟ يخيل لي أن كل الخطوط
تتقاضي في نقطة واحدة ..
إراغامنا - أنا وأنت - على أن تكون المستوين
الوحدين عن عودة هذا الشيطان .. هل نحن أصلح الناس
لذلك ؟ هل يرى الشيطان فيما من الشر الخفي ما يؤهلهنا
لذلك ببراءة ؟

كل الغرف خالية !
- كلهم ؟ .. وكم الساعة الآن ؟
- الحادية عشرة مساء .
- إذن بقيت ساعة على ميعاد نهوض المسلح .. لكن
أين ذهبوا ؟ هل رحلوا ؟
هل اختبئوا في مكان ما ؟ . ولم تركوني أنا
وكاترين ؟ !
- أنا خائفة يا د . (رفعت) .. لقد نمت نوما عميقا
وحين نهضت لم أجد أحدا ..
كانت ترتجف كالورقة .. فمدت ذراعي وطوقتها ..
تحرك شيء في قلبي ، للمرة الأولى ، فطلت إلى أنني
عشت خمسة وثلاثين عاما من عمرى وحيديا .. يا له من
شعور غريب أن تكون مسؤولا عن إنسان ما . وأن يحتاج
إليك إلى درجة البكاء .. أخذت بيدها ونزلنا إلى البدروم ..
كل شيء كما هو ... والتابوت المشنوم في مكانه ..
ومومياء الخفاش ودلول دم الخنزير ... قلت لها :
- أنت تعرفين ما كان مفروضا أن يتم هذه الليلة ؟ ..
هزت رأسها أن نعم ..
- وتعرفين أن الموعد بقيت عليه ساعة ؟
- نعم ..

Ballack

- وأين الآخرون ؟
 - لا ادرى .. ولا وقت الآن للإجابة عن هذا السؤال ..
 المهم هو أن نعد هذا المكان لاستقبال الكونت .
 بقيت عشر دقائق على منتصف الليل . وأحضرت دلو
 دم الخنزير وقربته من التابوت ، ووضعت الخفافش
 المحاط على صدر الموبياء .. ثم أطفأت الشمعة حتى
 لا تضيق سيد الديجور عند نهوضه ..
 بعد سبع دقائق يتعامد المشترى على المريخ ،
 وينكشف وجه القمر من وراء الغمام .. وبعد سبع دقائق
 يعرف العلم إلى الأبد ما إذا كان السحر خرافه أم لا ..
 وما إذا كان القدماء واهمين أم لا .
 أما أنا فكنت أردد كالمحجنون بالعربية التي لا تفهمها :
 - لن ينهض هذا الشيء لن ينهض .. أنا واثق من هذا
 وإلا غدونا في موقف لا نحسد عليه .
 بقيت أربع دقائق ... ثلاثة ..

★ ★ *

www.liilas.com/vb3

- لقد صرنا مجبرين ..
 هتفت كاترين في حنق :
 - ولكن لماذا نحن مجبرون ؟ نستطيع أن نغادر هذا
 البيت الرهيب وبعد نصف ساعة نصل للعمران .. الدفء ،
 الأمان ..
 صرخت فيها :
 - كلا .. لو فعلنا هذا لظللنا للأبد نحترق بنيران
 الفضول الذي لا يرتوى ، وظللنا نعلن جبنا ونتساءل
 سؤالاً لا إجابة عليه أبداً :
 هل كان (دراكولا) سينهض ؟
 إننا ظاهرياً أحرار لكننا في الواقع مقيدون بأصفاد
 متينة من الفضول العلمي ..
 نحن لا نستطيع إلا أن نستمر .. ونستمر ..
 - ولكن ..
 - لا لكن .. لو ضيعنا الفرصة فلن تعود قبل مائة عام
 نكون نحن فيها قد شبينا موتا .. نموت دون أن نعرف .
 كانت صغيرة السن ولم تفهم كل كلامي ، لكنها لم تكن
 تستطيع أن تصرخ وحدها .. إن من ذهب هذا الموقف فهو
 شيطان ذو عقلية جهنمية يعرف تماماً أن من سيعرض
 لهذا الاختبار هو لابد مستمر فيه ..

٩ - المفاجأة ..

الآن أستطيع القول إن العلم هو العلم .. وكل ما عداه هو خزعبلات ، ولكن لماذا تنتظرين إلى يا (كاترين) هذه النظرة الوالهة .. كنت مازال وسيماً محتفظاً بشعري ، لكنني لم أكن جذاباً لهذه الدرجة ، خاصة لفتاة مراهقة .
- كاترين .. هيا نصعد .

لم ترد ، وفجأة انفرجت تضحك في هستيريا .. تضحك ... وتضحك في الظلام .. لقد جئت المسكينة ! .. ثم نهضت ، وهي تترنح إلى .. إلى دلو الدم ومدت يدها فيه وأخرجت أصبعها السبابية ملوثاً ، و ... لعقته في تنفس .
- كاترين ، أيتها المجنونة ! ..

التفت إلى بشفتيها الحمراوين وهمست في صوت بارد :

- أنت لم تفهم بعد أيها الغبي .. لم تفهم ..
ما أغرب هذا الذي تفعله ، لقد جئت تماماً .. و ..
التابوت ظل في مكانه كل هذه القرون ممدداً به الكونت والصندوقي العاجي على صدره .. لهذا بدت لي قصة د . (لوفارسكي) غير منطقية وملفقة ، لأنه لا يمكن أن يقتل في كل مرة ويعيدون تسجيته في التابوت بنفس الوضع ..
- لن تفهم أيها الأحمق .

أنسانها تندفع في الظلام ، وهنا فهمت كل شيء .. لم يحدث أبداً أن نهض (دراكيولا) من تابوتة ، كانت الطقوس

الساعة الآن الثانية عشرة والنصف ..
لم يحدث شيء . برغم الظلام الدامس ، أرى حدود الجسد الممسجى في التابوت ، وعينى كاترين اللامعتين ، وأشم رائحة الفورمالين ، وأسمع دقات قلبى ... ، لم يتغير شيء ..
كان كل هذا وهذا ..
أشعلت الشمعة في توزة فأضاءت المكان إلى حد ما ..
وقد بدا لي الكونت مبتلاً وسخيفاً إلى حد لا يوصف ..
نفس الوجه والشعر العنكبوتى .. و ... و ...
- انتهى الأمر ..

قلت لكاترين لكنها لم ترد ، نظرة غريبة شاردة في وجهها .. لقد حطمته هذه التجربة ، لكن لم يكن لها مفر ، المهم الآن هو معرفة أين ذهب الأغبياء الآخرون ..
- قد يكونون خرجوا لغرض ما .. أو هم مختبئون في دعابة سخمة ، أو ..
وأشعلت سيجارة ، غريبة رائحة الكبريت هذه .. كنت أحمل قداحة ، لهذا اندھشت للرائحة ، د . (ريتشارد كامنجز) الأحمق الذي أفسى حياته في ألعاب صبيانية ، وذلك اليهودي البدن ، وأنا الذي سأرجع للقاهرة محملاً بذكريات باسمة لا أكثر .. رائحة الكبريت .

٩ - الخاتمة ..

خلال أربع وعشرين ساعة كنت قد عدت لبيتي السعيد في (الدقى) بالقاهرة، قضيت أياماً عديدة أتخيل (كاثرين) تهيم في الفلاة المحيطة ببيتهم تبحث عن عابرٍ للسبيل وتخيلتها تموت بوتدٍ خشبيٍ في صدرها ..

- أو إلى عنوانه على الأقل - فلم يصلني أى رد ..
أرسلت ثلاثة خطابات أخرى، إلى أن وصلنى خطاب من مالك البيت الجديد يقول لي إن د . (ريتشارد) لم يعد يعيش هناك، وأنه ارتحل إلى أستراليا مع عائلته، ولا يعرف عنوانه هناك ..

كم من ليلة سوداء قضيتها أستعيد ما حدث وأحلله. هل كنت واهماً؟ هل كان هذا حلماً؟ أم كان هذا حقيقة تتلخص ببساطة في أن الفتاة قد انهارت أعصابها بفعل التجربة الجهنمية؟ أم كان هذا واهماً عشته حين خبست وحدي في البدروم مع مصاص الدماء؟ ..

لا أدرى .. ولن أدرى أبداً .. هل قتلت (كاثرين) بيد إنسان لم يتلوث - إنسان مثل أبيها - وهرب بعدها إلى أستراليا؟

تم بجوار تابوتة في كل مائة عام ، من ثم تنتقل روحه لتحل في أحد ممارسى الطقوس ، يصير هو (دراكيولا) الجديد .. في حالتنا هذه كنت أنا و (كاثرين) المختارين لهذا الغرض ، لهذا استبعد الآخرين بصورة ما .. والآن (كاثرين) - بعد منتصف الليل - تغيرت كثيراً جداً .. (كاثرين) شربت الدماء وتلتقط ألسنانها الحادة في الظلام وتتصدر رائحة الكبريت اللعينة ..
وأنا حبيس معها في البدروم ! ..

لقد فهمت كل شيء متاخرًا جداً ..
ـ د . (رفعت) : تعال وقبلنى ..
صوت مفرغ قادم من عالم بعيد ، إذن هذا هو كل شيء ..
ـ تعال ..

ولهذا لم أتحول أنا أيضاً ، لأنَّه لا بد لمصاص الدماء ولوليد من وجية عشاء .. وبماذا يتعشى إذا غدوت أنا أيضاً

مصاص دماء !
و قبل أن أفهم أنا نفسى ماحدث ، أطلقت ساقى للريح ، جريت كما لم أجر في حياتى ، خرجت من القبو .. الردهة .. مدخل البيت .. الظلام الدامس جعلنى أصطدم مرات المرات بأشياء مجهولة ، قلبى كاد يتب من حلقى ..

الدبقة وضوء القمر يغمرها ..
وبدأت أركض .. أركض .. أركض .. ومن بعد لمحت أضواء العمran ورأيت أنا ماماً عاديين ..

★ ★ ★



الجزء الثاني

أسطورة الرجل الذئب

www.liilas.com/vb3

المؤسسة العربية الحديثة
طبع ونشر والتوزيع
الطبعة الأولى - القاهرة - ١٩٩٢

أم أنها قتلت ذويها في تلك الليلة وجاءت غرفتها تولول
وتبكي أم أن الأمر كله دعابة عملية قاسية أجادوا
حبكها ..؟

أسنلة كثيرة بلا إجابة ، ولا أرجو لها إجابة .. كل
ما أعرفه أنتى لن أحضر أبداً أي مؤتمر عن أمراض
الدم .. ولن أذهب أبداً إلى (بوركشاير) أو (أستراليا) ..
وأبداً لن أشاهد فيلماً لدراكولا ! ..

- شعرات عديدة شابت في رأسى وأنا أنتظر أن يصلنى
انتقام الكونت (دراكولا) إلى بيتي في الدقى خاصة وأنا
- على ما أظن - آخر من يعرف حقيقته ، وحزم ثوم
علقتها خلف الشبابيك والأبواب ، وأوان فضية ، وأيات
قرآنية .. لكن لم يحدث شيء والحمد لله إما لأن الله ستر ،
أو لأنى كنت واهماً في مخاوفى ..

... وبعد سنتين من هذه الأحداث ، قابلت شيطاناً من
نوع آخر في مكان آخر أنساني ما حدث تماماً .. لكن هذه
قصة أخرى ...

د . رفعت إسماعيل
القاهرة - يناير ١٩٩٢

★ ★ ★

انتهى الجزء الأول (بحمد الله)

مقدمة ..

مرة أخرى أعرفكم على نفسي : الدكتور رفعت اسماعيل أستاذ أمراض الدم سابقًا بجامعة (...) وعدد لا يأس به من جامعات أوروبا وأمريكا ، السن يناهز السبعين .. عزب ، لأن حياته الصاخبة لم تدع له الفرصة أبداً كى تكون كالآخرين ..

لقد عرفت أشياء كثيرة .. فتحت تابوت الكونت (دراكولا) .. صارت المذعوب في رومانيا .. بحث عن وحش (لوخ نس) في إسكندنavia ، قابلت رجل الثلوج الرهيب في التبت ، ولقيت نداء النداهة في غيطان القدرة المظلمة .. وعرفت (الزومبي) في جامايكا .

كل هذا سأحكى لكم بالتفصيل في هذه السلسلة .. لكنني -مرة أخرى- أرجو من ضياف الأعصاب ومرهفي الحس أن يتمتعوا عن القراءة، وبذلك يوفرون على أنفسهم ساعات من التوتر والهلع وخشية الظلام ..
اليوم أحكى لكم قصتي مع أسطورة الرجل الذئب ..

★ ★ ★

١ - بلد الأساطير ..

نظر (أستيان) إلى ذبالة الشمعة المحترقة وإلى وجوه الجالسين حوله ثم همس :

- يا رفاق .. إن المذعوب هو أحد الجالسين على هذه العائدة ! ..

★ ★ ★

قبل أن نصل إلى هذا الجزء ، دعونا نعود بضع أيام إلى الوراء ، إلى زيارتي لرومانيا للمرة الأولى في حياتي ، كنت في السابعة والثلاثين من عمرى ، وقد مضى عامان على مغامرتي الرهيبة مع الكونت (دراكولا) .. وكنت أعتقد - واهما كدائي - أن متابعي قد انتهت للأبد وأن الوقت قد حان كى أتزوج وأكون أمراً صغيرة وأفتح عيادة نظيفة بمجرد عودتى من هذه المهمة العلمية ..

في إحدى جامعات كلوج قابلت الصحفي الروماني (جوستاف فيكولسكو) .. وهو شاب شديد الذكاء يتمتع بروح دعابة قوية ، ويجيد الإنجليزية كأهلها .. ومتأخر في الأدب والعلوم الإنسانية ، وقد اعتبر نفسه مرشدًا لي في كل خطواتي ، وعلمني الكثير عن رومانيا البلد الذي كنت أعرف عنه أقل القليل أو لا شيء على الإطلاق ..

- ما هي الديانة هنا ؟ ..
- إن غالبية السكان هم روم أرثوذكس ..
- والشيوعية ؟
- ابتسم في تحفظ .. ثم همس وهو ينظر نظرة ذات معنى :
- يا رفيق .. إن الشيوعية لن تغير رومانيا .. إن رومانيا نسيج وحدتها في أوروبا وهي لن تتبدل أبداً ..
- رومانيا - كما قال لي - هي كلمة تعني أرض روما .. لأن القائد الروماني العظيم (ترايانو) قد فتحها وطرد البربر منها في موقعة (داتشيا) سنة ١٠٦ ميلادية ..
- ومنذ ذلك الحين صارت ولاية رومانية .
- ثم غزاها القوط ، ومن بعدهم السلاف ، في القرن السادس الميلادي .
- أعتقد أن السلاف هم من أعطوا طابعها المميز ؟
- إلى حد ما ، والأهم هو أنهم قسموها إلى منطقتين :
- (ترانسلفانيا) و (والاشيا) ..
- ترا .. ترانسلفانيا ؟ . حيث قصر الكونت ..
- (دراكولا) ! .. نعم ! .. إنها بلد خالد بالأساطير ..
- وأهم معالمه السياحية هو قصر الكونت (دراكولا) ، يجب أن تزوره معا .. فهو مكان مثير للخيال إلى أقصى حد !

يا لك من أحمق ! .. ماذا تعرف أنت عن هذا القصر وعن تابوت الكونت وعن خادمه .. وعن .. وعن ؟

- بل إن (ترانسلفانيا) هي أيضاً مكان قلعة (فرانكنشتاين) كما وصفتها مدام (مارى شيللي) !

- يا له من بلد جميل !

- المهم .. كنت أقول لك إن الأتراك غزوا رومانيا .. ودارت معركة كبيرة بينهم وبين (ستيفانو) الأكبر في سهول راكوفا .. ثم تنازلت تركيا - الرجل المريض - عن أجزاء من البلاد للنمسا في صلح (باساروفيتش) ..

- ومنذ إدن صرت أحرارا ؟ ..

- حدث هذا في عام ١٨٥٦ .. وانتخب للحكم الأمير (ألكسندر كوز) بعد الحرب العالمية الأولى ضمنا للبلاد (بوكوفينا) من روسيا .. ثم جاءت الحرب العالمية الثانية .. استولى الجنرال (أنطونسکو) على الحكم لصالح النازى . وكان من جراء هذا أتنا فقدنا (بوكوفينا) مرة أخرى هي وأجزاء من (ترانسلفانيا) عادت لل مجر ..

بعد الحرب صرنا دولة شيوعية تابعة للاتحاد السوفيتي ..

(كان هذا الكلام في عام ١٩٦١ ولم يكن أحدنا يتخيّل ما سيحدث لرومانيا - وللشيوعية كلها - بعد ثلاثين عاما) ..

قلت له :

- ولماذا تحبون الشيوعية ؟

- مكره أخاك لا بطل ! .. إن موسكو لا تترك لأحد فرصة الاختيار ، أضف إلى هذا أننا كنا نريد أي تغيير بعد مظالم العهد البائد ..

- هلا أعطيني سيجارتك أشعل بها سيجارتي ؟

قدمت له سيجارة فأخذها .. وهتف :

- أرأيت ؟ .. قبيل سنة ١٩٤٧ كانت هذه جريمة يعاقب عليها كلانا بالسجن !
أية جريمة ؟

- إشعال سيجارة من سيجارة ! .. كانت قوانين الاحترار تحتم على العواطن استعمال عود ثقاب لهذا الغرض كى تروج تجارة الثقاب (*) !
أخذت أضحك .. فلم أتخيل من قبيل هذه العبرية فى تقييد الحرية الشخصية للإنسان ، يا للجهل البشري !

قال جوستاف :

- سترى الكثير من الأعاجيب فى رومانيا .. عليك الآن أن تذهب لفندقك كى تستريح .. وسأراك غدا ..

★ ★ ★

(*) حلقة .

كانت جولة رائعة استغرقت أسبوعين ، زرنا فيها جامعات (كلوج) وكنائس (بوخارست) العتيقة .. ودخلنا حانات (مامايا) على البحر الأسود ، حيث روى لنا المحارة الأشداء قصصاً مثيرة .. وزرنا ميناء (كونستانتا) أهم موانئ رومانيا ، لكن ما أثر في أشد تأثير كان زيارتنا (ترانسلفانيا) ..

- (ترانسلفانيا) هي حوض متخلص في غرب البلاد تتحده سلسلة جبال الألب الترانسلفانية ، وإلى الشمال تجد مراكز صناعة الصلب في رومانيا .. ثم منطقة (الكريات) ..

- هذا الاسم مألوف لي ..

- (الكريات) هي منطقة رعوية .. جبال متوسطة الارتفاع تكسوها العشائش ، وفي الجنوب يجري نهر الدانوب ..

- الأزرق ؟

- لا يوجد دانوب أحمر فيما أظن ! ..

وفي تلك الليلة زرنا قصر الكونت (دراكولا) العتيق المتهدم ، وكنت أنكر تفاصيله من الصور الفوتوغرافية في المرة السابقة ، لم أتمالك أن أرتجف وأنا أتخيل

٢ - العاصفة ..

انطلقت سيارة (جوستاف) في الطريق الوعر المتشعب والمطر ينهر بزيارة على زجاج النافذة في حين كان بخار الماء يتكاثف من أشداقها على باطن الزجاج الدافئ .. فكنت أمسحه من أمامه بمنديل من حين لآخر .. ومن بعيد - عبر الغابات الكثيفة المظلمة - كان لسان من البرق يشق السماء من حين لآخر ليضيء الموجودات بلون أزرق بارد قاس ثم يختفي .. وبعد ثوان يدوى هزيم الرعد كأنما نجوم السماء يصطدم بعضها البعض ..

- إنها الكريفات ...
- الكريفات ؟ ..

- إنها ريح شتوية عاتية تحتاج هذه المناطق .. وتحدث كارثة في المزروعات .. إنها وبال على الفلاحين هنا ..

- يا له من فعل سمين ! ..
- لا تبتئس يا رفيق .. أنت لم تر سوى رومانيا الباسمة ، وقد حان الوقت كي تراها حين تنشر عن أنبيتها ! ..

كنا نجتاز دلتا الدانوب في جنوب البلاد ، وكانت الطيور كلها قد فرت قبل العاصفة ، ولم يبق في الغابات المترامية

د . (ريشار) و (لوفارسكي) يتسللان ليلا لهذا القصر المتهدم كي يبحثا عن مومياء (دراكيولا) ، وتنكرت رعب أهل القرية من المرور جواره ..

إن هذا المكان ينبع بروح ما ، لا يمكن وصفها ..

قال لى (جوستاف) :

- إن التراث الشعبي في رومانيا مليء بقصص الرعب ، والأمهات هنا يخفن أطفالهن بحكايات مصاصي الدماء والمذعوبين و (نوسراتو) (*)

- ولماذا في رومانيا بالذات ؟

- إما أن هذا يعود لخصوصية الخيال المحلي .. وإما أن هذه المسوخ موجودة في رومانيا بالفعل ! ..

★ ★ ★
Ballack

(*) الاسم المجرى لدراكيولا ..

شرع (جوستاف) يتفحص خريطة الطريق .. ثم تعمت :
 - أقرب مدينة مثا هي (نورسلفرين) لكنها على
 مسافة لا يأمن بها ، إلا أن هناك قرية صغيرة اسمها
 (كريابوفسكا) على بعد عشر دقائق .. أعتقد أنها أمننا
 الوحيد .. المهم هو أن تتحرك صريعا قبل أن يتعذر ذلك ..
 وافتئه على كلامه لأن نعائى الحارة القاتمة من وادى
 النيل كانت قد بدأت تتجدد فى عروقى ، كنت أرتدى
 بول أوفرى ومعطفا وتحت بنطلونى ذلك السروال القطنى
 السميك الذى أهدته إلى المرحومة أمى حين ذهبت
 للاسكندرية أول مرة فى حياتى ، لكنى برغم ذلك كنت
 أرجف .. وبدأ أنفسى يسabil .. وأدركت أننى فى حالة
 سينة .. سينة ..

أعاد (جوستاف) الخريطة إلى تابلوه العربية ، ثم أدار
 المحرك عدة مرات .. احتبس فيها نفسى لا أريد التفكير
 فيما سيحدث إذا رفضت السيارة التحرك .. ثم انطلقت
 السيارة ، ومضينا صامتين لا شيء حولنا سوى الأشجار
 المغطاة بالثلج تلتمع فى كشافات السيارة .. ومن بعد كان
 ذنب أو اثنان يجريان من طريق العربة .

- (جوستاف) ؟

- هم مم ؟

لا بعض الذئاب تبحث عن مأوى ..
 بدأ الجليد يتماسقط رقيقا ناعما لكنه فعال ، فى ثوان
 تختفى الغابات بلون أبيض جميل ، وكانت لم أر الجليد فى
 حياتى .. وقد خيل لي أننى أحلم .. فجأة يتحول المشهد
 إلى مسرح لقصة خرافية ما .. نعم .. لابد أن ينشط الخيال
 البشرى فى هذه الأصقاع .. لابد ..

- رائع !
 - هل تعنى أنك لم تر جليدا قبل اليوم ؟
 - نعم ..
 - ألم تقل إنك زرت إنجلترا وفرنسا مارازا ؟
 - بلى .. كان ذلك دائما فى جو صحو للأمن !
 انفجر بضحك .. ثم أشعل سيجارة .. وهتف :
 - إن هلتا الدانوب مليئة بالبجع والبلشون .. والدببة ..
 والفهود !

- فهود ؟
 - طبعا .. أنت لم تر رومانيا بعد يا صديقى .. ويبدو
 أنك سترى منها الكثير من الانفاساعدا ..
 - ماذَا تعنى ؟

- أعني أننا لن نستطيع الاستمرار في هذا الجو دون
 جنازير على العجلات .. يجب أن نتوقف ! ..

★ ★ ★

إلى بيتك سالماً بعد هذا الفزع ، لهذا تعيش التجربة
بأكملها ، أما أنا فلم أكن أعرف ..
والدرس الذي تعلنته - بعد سنوات طويلة - هو أن
افتراض في كل مازق أنتي سأخرج منه سالماً من ثم أحافظ
بوضوح وترتيب فكري ، إن الهلع لا يجدى .. والموت هو
مיעاد مكتوب لن يغيره حذرى ولارعبنى ، فإذا جاء ..
فلامت كرجل مبتسمًا واثقاً ..
لكنني لم أكن أفهم هذا وقتها ! ..
ومن بعد لاحت أصوات القرية .
كانت الساعة العاشرة مساءً .. والشوارع مغطاة
بالثلج ، والظلام شبہ تمام فيما عدا بعض الأضواء خلف
النوافذ المغلقة ..
وارتحفت حين تخيلت الأسرة المعلقة حول المدفأة ..
والطعام ..
ـ الآن علينا أن نجد خاناً ..

وأمام لافتة خشبية يضئنها مصباح ترجل (جوستاف)
من العربية .. ثم قرع الباب بقبيضة نحاسية معلقة
جواره .. وصاحت باللغة الرومانية بشيء ما ، فردة عليه من
الداخل صوت فظ يقول شيئاً آخر ، حين تسمع لغة
لأنفهمها يخول إليك أن الكلمات تجري بين شفاه أصحابها

- ماذا عن قضمة الصقيع ؟
وقبضة الصقيع - إن كنت لا تعرف - هو نوع من
الغنفرينا يصيب الأطراف في البرد الشديد ويؤدي لبترها ،
قال لي ما معناه :
ـ فالله ولا فالك ! ..
ـ أنا لا أمزح .. أنا لاأشعر بأصابع قدمي ! ..
ـ على كل حال ليس الطقس بهذا السوء .. لسنا في
(سيبيريا) فلا تتصرف كالأطفال ..
ظللت صامتاً وأنا أعنف في سرى ، وألعن دلتا الدانوب ،
وهذه الكر .. الكرفات أو أيّاً كان اسمها ، وشرعت أتخيل
نفسى عائداً للقاهرة دون قدمين لأنسول جوار مسجد
الحسين ، أو أتخيل نفسى ضحية لذئاب رومانيا الشهباء
التي لا تزعج .. هل سيكرمون ذكرائي في كلية الطب
ويسمون دورة المياه بها على اسمى ؟ .. دورة مياه
الشهيد (رفعت إسماعيل) ! ..
في ذلك الوقت لم أكن أعرف أنتي سأعيش ثلاثة عاماً
آخرى سليمًا معافي ، واليوم أتذكر ، في كل مازق حياتى
ـ وما أكثرها - كنت فى كل مرة أعتقد أنها الأخيرة ، لهذا
لم أستمع ولم أنعلم ..
حين تدخل أنت بيت الأشباح فى مدينة الملاهى أو فيلم
رعب تكون على علم تمام بذلك - مهما رأيت - ستعود

بسرعة لا يمكن متابعتها ، (جوستاف) يصرخ
 والصوت يصرخ .. ماذا هناك ؟
 عاد إلى وهو يسب ويلعن - بالرومانية - بالفاظ أعتقد
 أنها مشينة للغاية ، ثم فتح باب السيارة وجلس جواري .
 - الخنزير لا يريد أن يفتح لنا ..
 - ولمه ؟
 - لا أدرى .. قال إنني أستطيع أن أشكوه لمكتب الفنادق
 أو للحزب نفسه لكنه لن يفتح ..
 - ربما يظننا لصوصنا ؟
 - كلا إن رعاة الدانوب ودودون جذا .. ولكن هذا الرجل
 لا أفهم .. وأدار محرك السيارة ، وعندنا نجوب شوارع
 القرية المكسوة بالثلج صامتين .. بعد دقائق سأله :
 - (جوستاف) ؟
 - نعم ..
 - هل الليلة مناسبة دينية عندكم ؟
 - لا أعتقد .. ولماذا ؟
 - لا يوجد بيت في هذه القرية إلا وغرس صليبياً حديدياً
 أمام بابه ! .. ألم تنتظ هذا !! ?

★ ★ ★



قرع الباب بقضة ثحالية معلقة جواره .. وصاح باللغة الرومانية
 شـ. هـ ما

٢ - الكنيسة ..

وكانت هناك بعض كتب الصلاة على مائدة خشبية
عتيقة ، وشمعدانات .. وعدة أبوقنوات ، كانت غرفة قديمة
لكلها نظيفة مريحة و .. دافئة !

جلسنا أمام النار شاعرين أن اللهب ينفذ عبر عظامنا
لبنيب النخاع بداخلها ! .. أما الأب (أنطونيسكو) فنهض
إلى زجاجة صغيرة صب لنا منها شيئاً في قدحين من
الخزف .. وقدمه (جوستاف) ولسى .. نظرت إلى
(جوستاف) في تساؤل فقال :

- روم ساخن ليجري الدم في عروقك ..

اعتذررت له وناولته الكأس ليشربها بدلاً مني في حين
شرح هو الأمر للأب :

- مسلم ..

قالها بالرومانية كما ننطقها نحن بالعربية .. فنظر إلى
الأب في مودة :

- أها ! .. مسلم ؟

ودارت محادثة قصيرة أدركت مفادها بالطبع .. من أين
أتيت أنا وكيف ؟ وماذا أفعل في هذا الركن المنشئ من
العالم في هذا الزمهرير بينما بدبي هو أجمل وأدفأ بدنان
الارض ؟! .. لو كنت أجيد الرومانية لقللت له إنني مجنون
أيها الرجل الطيب .. مجنون .. ومعنوه .. وأبحث عن
حتى ..

وصلنا للكنيسة العتيقة في القرية .. آخر أمل لنا في
المبيت .. نزل (جوستاف) من العربة واتجه نحو باب
الكنيسة الحديدى الصدى وصفق بكتبه .. ولم يفته أن
يشير لصلب حديدي مغروس في الجليد أمام الباب ..
ونظر إلى نظرة معناها : أنت على حق فيما لاحظت ..
بعد دقائق تحرك ضوء مصباح ، وانفتح الباب
الصدى في حذر عن وجه منه بالتجاعيد ، كان هذا هو
القسис .. لحيته البيضاء ونظاراته الطبية السميكة
ذكرتاني بقصاؤسة الروم الأرثوذكس الذين عرفتهم في
الاسكندرية ، تحدث معه (جوستاف) بكلمات مقتضبة فهز
رأسه استكاناً ودعانا للدخول ..

أغلقت خلفي باب السيارة ووشت إلى الداخل وانا
أرتجف برداً . صعدنا سلام متسلكة إلى غرفة واسعة
رحبة .. وكانت هناك .. مدفأة ! اللهب الأحمر العزيز
يتراقص مرحباً بنا .. وكانت هناك سيدة عجوز جالسة
حيث التريكو جوار المدفأة .. قدمها لنا الأب بكلمات لم
أفهمها ..

قال (جوستاف) :

- الآنسة شقيقة الأب (أنطونيسكو) ..

جاء العجوز في تؤده حاملة وعاء تفوح منه أبخرة زكية .. ورغم في طولين .. وطبقاً به بعض شرائح اللحم ، وأشار القسيس إلى اللحم ولـى وقال كلاماً مالـم احتاج لمجهود كبير كـي أعرف معناه ..

قال (جوستاف) :

- يقول لك إن هذا اللحم ..

- .. ضـأن .. وليس لـم خنزير .. أليس كذلك ؟

- وكيف عرفت ؟

إن لـغـة الإيماءات والنـظرـات عـالمـية ، أـصـدـيقـى ..
لو أـنـك شـاهـدت فـيلـنـا بـالـلـغـة الـبـنـغـالـيـة لـفـهـت ثـمـانـين فـي
الـمـائـة من قـصـته دون جـهـد ..

وعـلـىـ المـائـدةـ جـلـسـناـ نـرـشـفـ الحـسـاءـ الذـىـ لـأـعـرـفـ
ماـهـوـ إـنـكـ كـنـتـ أـمـيلـ بـعـدـ تـذـوقـهـ إـلـىـ الـاعـتـقـادـ أـنـهـ حـسـاءـ
أـحـذـيـةـ .. وـكـانـتـ تـسـبـحـ فـيـ أـشـيـاءـ مـرـعـبـةـ لـكـنـهـ كـانـ سـاخـنـاـ
وـهـذـاـ يـكـفـىـ !

على حين جلس (جوستاف) والقس تبادلان حديثاً لم
أفهم حرفاً منه .. سهل من الشيبات والخاءات ينهال فوق
رأسه ويقاد بطير المائدة بما عليها .. هل اللغة الرومانية
خشنة إلى هذا الحد ؟

عينا القـسـ تـسـعـانـ خـلـفـ نـظـارـتـهـ وـهـ يـضـفـطـ عـلـىـ
مـخـارـجـ الـحـرـوفـ .. وـ(ـجـوـسـتـافـ)ـ يـبـدوـ غـيرـ مـصـدـقـ وـانـ
كانـ قدـ تـوقـفـ عـنـ الـمـضـغـ مـاـ دـلـنـىـ عـلـىـ أـنـ الـأـمـرـ أـثـارـ
أـهـتمـامـهـ إـلـىـ حدـ ماـ ،ـ الـأـبـ يـرـسـمـ عـلـمـةـ الصـلـبـ ..

،ـ -ـ عـمـ تـحـدـثـانـ يـاـ (ـجـوـسـتـافـ)ـ ؟ـ ..

ـ نـظـرـ إـلـىـ فـيـ تـهـكـمـ ..ـ ثـمـ قـالـ :

ـ خـمـنـ !ـ ..ـ أـلـسـتـ خـيـرـاـ فـيـ الـأـفـلـامـ الـبـنـغـالـيـةـ ؟ـ !ـ ..
الـإـيمـاءـاتـ يـاـ صـدـيقـىـ ..ـ الـإـيمـاءـاتـ !ـ ..

ـ حـسـنـ ..ـ لـاـ تـمـزـحـ !ـ ..ـ هـنـاكـ مـعـتـقـدـ مـاـ يـؤـمـنـ بـهـ الـأـبـ
ويـخـشـاهـ كـثـيرـاـ لـكـنـكـ لـاـ تـصـدـقـهـ ..ـ وـإـنـ كـانـ الـقـصـةـ قـدـ بدـأـتـ
تـؤـثـرـ فـيـكـ ..

ـ حـسـنـ ..ـ أـنـتـ عـلـىـ حـقـ ..

ـ وـلـاـ كـونـ أـكـثـرـ دـقـةـ ..ـ يـقـولـ لـكـ إـنـ الشـيـطـانـ أوـ رـوـحـ
الـشـرـ ..ـ أـوـ شـيـنـاـ مـنـ هـذـاـ الـقـبـيلـ ..ـ يـتـجـولـ فـيـ الـقـرـيـةـ هـذـهـ
الـلـيـلـةـ الـمـشـنـوـمـةـ لـهـذـاـ أـغـلـقـ السـكـانـ يـاـ بـهـمـ وـغـرـسـواـ
الـصـلـبـانـ عـلـىـ الـأـبـوـابـ ..ـ وـإـنـهـ يـسـأـلـ الـرـبـ أـنـ يـحـفـظـنـاـ هـذـهـ
الـلـيـلـةـ ..

ـ نـظـرـ إـلـىـ فـيـ شـكـ ..ـ وـتـسـأـلـ :

ـ قـلـتـ إـنـكـ لـاـ تـعـرـفـ حـرـفـاـ مـنـ الـرـوـمـانـيـةـ ؟ـ

٤ - رعب في القرية ..

صحت في ذهول :

- هل .. هل تتحدث عن أسطورة الرجل الذى يتحول إلى ذئب حين يصير القمر بدرا ؟
قال فى تشف إذ نجع أخيرا فى إثارة فضولى .

- إن رومانيا هي موطن هذه الأسطورة .. وبالتحديد سهل الدانوب ، وللمزيد من الدقة الجغرافية يبدو أن موطنها هذه القرية للامسق !

ثم ابتلع ملعقة من حسانه .. ودعانى بإشارة إلى أن أوacial الأكل .. لكن ما أكلته كان قد تحول فى معدتى إلى قالب من الطوب .. خرافه أخرى تلاحقنى فى هذا الركن من العالم كأنى الوحيد المؤهل لهذه المهام الفندرة ..
قلت :

- لكن القرم كان بدرا البارحة .. المفترض بحسب الأسطورة أن يسود الهدوء والسلام القرية بعد ليلة البير الصاخبة ، ويعود المذعوب إنسانا ..
تبادل بعض الكلمات مع الأب (أنتونيميكو) ، ثم التفت إلى :

- ثلاثة أيام ..
- إذن يظل المذعوب يعيش فسادا فى القرية ثلاثة أيام .. هذا كثير ..

- بالفعل .. لكنها الإيماءات كما قلت لك .. ثم إن القصة هي دائما هكذا .. تعلمت ذلك من قصص (إدجار آلان بو) (*) !

- وهل أدركت من الإيماءات أيضا أنه مزق رجلين أمس ؟

- من هو ؟

- إنه (بيلاسكو) المذعوب .. أو بمعنى آخر ، الذئب الذى كان رجلا ..

★ ★ ★

(*) (إدغار آلان بو) الشاعر الأمريكي العبقري .. كتب أرق قصائد الحب مثل (أنايبل لي) وأفتعل قصص الرعب مثل (قناع الموت الأحمر) و (الحشرة الذهبية) و (سقوط منزل أشر) .



وعاد للحديث مرة أخرى .. وسمعت كلمة (نوسفيراتو) عدة مرات

وإذن فليلة باكر هي آخر ليالي هذا الشهر ..
- أظن هذا ..

وشرعت أنهى حسانى على حين استمرت المحادثة بين
(جوستاف) والقس ، التفت إلى (جوستاف) ، قائلاً :

- قلت للقس إنك لا تصدق حرفًا ..
- (جوستاف) ! إن هذا لا يليق .. إن آرائى
الخاصة ...

- وهو يدعوك أن تزور الحانة باكراً لتسمع ما سيقوله
الرجال هناك ..

- ولكن اعتذر له .. أنا لم أقصد .. يا لك من ...
وعاداً للحديث مرة أخرى .. وسمعت كلمة
(نوسفيراتو) عدة مرات .. ثم أشار إلى القس ضاحكًا ..
- إنه يسألك عن مغامرتك مع الكونت (دراكولا) ..
نظرت إليه في غريط ، وقلت :

- قل له إننى اقتربت من القصة بشكل مرتفع .. لكنى
حتى هذه اللحظة لست واثقًا من شيء ، قد تكون كل القصة
سلسلة من الأوهام ، وقد تكون دعاية قاسية شربتها حتى
الشالة .. لكنى أعرف شيئاً واحداً ..

لم أجد أى دليل مادى على أن مصاص الدماء عاش أو
يعيش في هذا العالم .. وإن موقفى من الغرافات لم ولن
يتغير .. كل ما لا يرى ولا يسمع ولا يشم ولا يعقل هو غير
موجود ، هذا هو رأى فى أسطورة (دراكولا) ..

في الصباح خرجنا - أنا و (جوستاف) - نسير في
 القرية ..
 - أول شيء هو أن نجد ما يلزم للسيارة كى نواصل
 الرحلة .. ثانى شيء هو أن نذهب للحانة - كما قال الأب -
 فقد نجد شيئاً بهمك .. أو بهمنى أنا ..
 وعند جراج القرية توجه (جوستاف) إلى رجل بدین
 يكسوه الشحم والعرق ويصرخ ، تحدث معه صديقى
 فواصل الصراخ .. ثم عاد إلى .. قلت باسماً :
 - كلهم فى هذه القرية يصرخون ويرفضون طلباتك ..
 قال فى صرامة :
 - لامجال للمزاح .. إنه يقول إن الكريفات سدت كل
 الطرق بالثلوج ..
 وخط التليفون الوحيد مقطوع فلم يستطعوا استدعاء
 كاسحات الثلوج ..
 - وهذا يعني ..
 - نعم .. بالضبط .. يعني أنتا سجناء فى هذه القرية
 حتى يذوب الجليد !

★ ★

في الحانة طلب (جوستاف) بعض الروم له وقهوة
 لي ، وجلسنا وسط بحر من الشوارب الكثة السلافية
 ونظرات الشك .. ورجال مفتولو العضلات زادهم الفراء

قال (جوستاف) مصححاً :
 - (نوسفيراتو) ! .. إنهم يفضلون هذا الاسم هنا وفي
 بولندا وال مجر ..
 - نعم .. هم على حق .. فهو بيبدو محباً للنفس ! ..
 عاداً يتحدىان عشر دقائق .. ثم التفت إلى (جوستاف)
 قائلاً :
 - يقول الأب إنك مخطئ ! ..
 بالبلغة هذه اللغة ! .. ربما استغرقت ساعتين كى
 أقول له كلمة مساء الخير ، تشاءبت فقال الأب شيئاً
 ماللسيدة .. فقمت على الفور تحمل مصباح
 الكبارىسين .. واقتادتها فى تؤدة إلى غرفة صغيرة بها
 فراشان نظيفان .. وقالت شيئاً ما هو - بلاشك - كلمة
 مساء الخير بالرومانيّة ، وعلى الفراش ارتمينا بشياطنا لأن
 حقائبنا كانت فى السيارة ولأن أحدنا لم يكن مستعداً للنزول
 فى الصقيع والظلام كى ينعم بالنوم فى بيجامة .
 ... وغرقت فى نوم عميق
 ... غريب هو عواء الذئاب فى هذه القرية .. صوت
 قوى متشرج أليم كأنه إنسان يتآلم فى أعماق الجحيم ..
 أيقطنى هذا العواء ثلاث مرات بعد منتصف الليل .. فكنت
 أردد آية الكرسي وأعاود النوم متخيلاً ذلك الذئب البائس
 الذى يمشى الآن فى الظلام والثلوج ، باحثاً عن فريسة !

من حين لآخر ، ثم تهافت .. فاحتاط (جوستاف) كتفه
بذراعه ، وقال :

- إنه فقد صديقه أول أمس .. تذكر صديقه هذا أنه لم يغلق حظيرة الأغنام من ثم ترك زوجته وظفليه وخرج في الظلام .. بضع ثوان لكنها كافية .. سمعت زوجته صرخة مروعة ، وحين خرجت مسلحة لترى وجدت زوجها ممزقا على الأرض وجواره آثار أقدام ذئب ..

- والآخر ؟

- إنه عبيط القرية (كونستانتين) ..

- وهل حدث شيء ليلاً أمس ؟

- لا شيء فيما نعلم .. كنا نحن المرشحين لتلقي هذا الشرف لو لم يستضفنا القس ..

صحت في حق :

- إذن تركنا هؤلاء الجناء ولم يفتحوا أبوابهم بفرض ترك وجية عشاء مضمونة للرفيق (بيلاسكو) .. بالله من ذكاء !

عاد يتحدث مع الراعي .. ثم التفت إلى :

- يقول إن أحداً لم يفتح بابه لنا لأن المذعوب يستطيع الكلام بصوت البشر أحياناً مقدماً أذاراً مقتنة ، ومن رأيه أن الآب (أنطونيسكو) افترف جريمة في حق نفسه وحق أخيه حين أدخلنا بيته أمس !

- هذا لطف منه !

الذي يرتدونه ضخامة .. وكلهم تقريباً مسلحون ببنادق ضخمة عتيقة ..

- كلهم هنا من الرعاة .. وحياتهم خشنة إلى حد لا يوصف ، ثم يجدون أنفسهم أمام فتاتين رفيقتين مثلثي ومثلثاً !

قالها (جوستاف) وهو يرشف قده في حين انكمشت أنا في مقعدي ووسط هذا المناخ غير المرحباً به ، اقترب منا صاحب الحانة فأخرج (جوستاف) حفنة من اللاليات(*) دسها في قبضته .. وقال شيئاً ما ، من ثم تهال الرجال طریاً وشرعوا يحتسون الروم في مرح مرعب .. إنها تلك الحيلة القديمة : كل مشاريب (الجدعان) على حسابي .. من ثم تنزول الكراهة والوحاجز البشرية في ثوان .. اقترب منا رجل قوى البنية وشد كرمياً على ماندتنا وصافحني أنا و (جوستاف) بيد كانت تهشم أصابعنا ، وقال :

- (استيان) ! .. استيان هيرشويفتش ..

- (جوستاف نيكولسكي) ..

- (رفعت إسماعيل) ..

سأله (جوستاف) عن شيء ما بالرومانية .. فشرع الرجل يفكر ، ثم بدأ يحكى قصة مروعة طويلة وهو يذن

(*) الالى : عملة رومانيا .

- يقول (أستبان) أن كل إنسان في القرية يعرف أنه إذا هاجمه المذعوب عليه أن يحاول إحداث إصابة ما به فإذا نجا بعد ذلك بذاته في البحث عن صاحب هذه الإصابة .. ويتم اعدامه بنصل من الفضة ..
- وهذه اللفافة ؟

- هذا الرجل يدعى (إيدو) .. هاجمه مذعوب في الشهر الماضي بين الأحراس .. وقد استطاع أن ينزع منه مخلبا ثم فر بجلده .. في الصباح وجد في جيبه بدل المخلب شيئا آخر ..

- مثل .. بعض الشيكولاتة مثلا ؟
فتح (أستبان) اللفافة ببطء .. كان أصبعا مجدها .. أصبعاً أدمياً يحيط به خاتم ذو فص أزرق .. لم يحتاج (إيدو) لجهد كبير في البحث عن فص أصبعه في القرية .. بل هو لم يحتاج حتى إلى ترك بيته .. إن هذا الخاتم هو خاتم زوجته !!

★ ★ ★

وأفرغت فنجان القهوة في حلقى .. ثم سالت :
- قل له من هو هذا المذعوب ؟ .. هل يعرفونه ؟
- يقول إنهم لو عرفوه لقتلوه .. لكنه أدهش بالطبع ! .. ثم أنهم قتلوا مذعوبين كثيرين من قبل ..
- لماذا ؟ .. هل هم كثيرون ؟
- طبعا ! .. هناك دائما واحد .. الأسطورة تقول إن من يجرحه المذعوب يتحول لمذعوب جديد في الشهر التالي ، كأنه وباء .. فإذا قتلت المريض الأول بقى المريض الثاني ..

- وحين تقتله يكون قد ابتلى العالم بثالث ..
- وهكذا .. سلسلة طويلة منذ القرون الوسطى إلى يوم الدينونة ..

- وكيف يقتلون المذعوب ؟ ..
- الأمر يقتضي إغمام نصل فضي في قلبه بالطبع وهو في صورته الأدمية : لأنه وهو ذنب يكون في أقوى حالاته .. يمكنه افتتاح شجرة من جذورها بكل سهولة ..
- وكيف يعرفون وهو أدمي أنه هو المطلوب ؟
عاديا يتحدى .. وأشار (أستبان) إلى رجل يرتدي ثيابا قذرة وأصلع الرأس ، فجاء الرجل ، طلب منه شيئا ما .. فلخرج الرجل من سترته لفافة وألقاها على العائد وهو يرمقني في شك ..

٥ - إيكاترينا ..

صحت في ذهول :

- باللهول !

قال (جوستاف) وهو يبلغ ريقه :

- هذا هو ما يقولونه .. أنا لا أصدق لكن قصتهم
محبوبة إلى حد مرعب ..

قلت في حنق :

- وطبعاً قتل زوجته بنصل فضي ..
- طبعاً ..

- وهكذا يستطيع أي سفاح أن يقتل زوجته ويقطع
إصبعها ثم يخرج ليصبح في القرية أنه اكتشف أنها
مذعوبة وأنه نفذ فيها قصاص الصمام !
التفت (جوستاف) بشكل تلقائي إلى الرجلين لينقل لهما
وجهة نظرى ، فصرخت :

- لا يا أحمق ! .. لن نخرج أحيا من هنا !

فتوقف عن الكلام .. لكن الرجلين خمنا ما قلت أو
كادا .. اللعنة على لغة الإيماءات هذه ! .. ولمحت نظرة
غضب في عيني (إيدو) .. وتحسست بده القنطرة نصل
خنجره المعلق في حزامه .

- أهناك على حماسك في الترجمة ! .. حاول أن تغير
الموضوع ..

وعاد (أستيان) يتحدث بصوته العميق الغليظ ، في
حين حزم (إيدو) لفافته وأعادها الجيبه وهو يرمي بنظرة
نارية ..

قال (جوستاف) :

- منذ عام نجح (ستيفانو) في قطع رجل مذعوب
بفأسه .. في الصباح تحولت الرجل المخلبية المشعرة إلى
رجل إنسان ، وفي نفس اليوم وجدوا ابن العمدة وقد فقد
ساقه في حادث .. بالطبع نفذ أبوه الحكم بنفسه ..
- باللنشاعة ! ..

- المذعوب الجديد (بيلاسكو) لم يستطع أحد حتى الآن
أن يحدد هويته أو يحدث به إصابة ما ..
وفي هذه اللحظة وقعت عيناي على .. على أروع
مارأيت في حياتي !

إن الكلمات لن تنفع في التعبير عن وقع كل هذا الجمال
على روحي .. أحتاج إلى لغة أرق وأكثر جمالاً .. ربما هي
الموسيقا ، فتاة سوداء العينين والشعر والملابس تقف
جوار (أستيان) وتنتظر إلى في رقة نظرة ثابتة أذابتني من
الخجل ..

قالت (أستيان) شيئاً ما فرد عليها بفظاظة .. ياله

ونادى صاحب الحانة وأخبره بربغوثي .. فهز هذا الأخير رأسه مرحبا .. وأشار إلى أن أصعد معه سلاماً خشبية تغرة إلى .. إلى أفتر حجرة رأيتها في حياتي .. منتهى المؤمن والفالر والضعة .. حتى دورة المياه كانت عبارة عن جريل صدى جوار الفراش الذي لم يكن أفضل حالا ..

- والآن اسمع يا رفيق (رفعت) ..
- أعرف ما ستقول .. اذهب أنت ونم في الخان أما أنا فباق !

- لقد وجدت مصيرك ! ..
قالها وهو يبصق على الأرض التي لم تزدها بقصتها قذارة في الواقع .. وعلى الباب استدار ليسألني سؤالاً آخرها ..

- والترجمة ؟

ثم هز رأسه مستدركاً :

- آه ! .. نسيت لغة الإيماءات والنظرات !
وأغلق الباب قبل أن أردد عليه بما يناسب وقاحته !
جلست على الفراش وتأملت العكان في اشمئزاز .. هل أنا مراهق إلى هذا الحد ؟ أم أنه حافر خلف جعلني أفعل ما فعلت ؟ ..
دق الباب فوثب قلبي في قمي .. تخيلت يدها التحيلة

من وعد ! .. وقال (جوستاف) شيئاً آخر وقد بدا عليه الاشمئزاز ..

قال (جوستاف) :
- هي (إيكاترينا) ابنة صاحب الحانة .. قالت إنها ت يريد أخبارك بشيء لكن (أستيان) زجرها وقال لها إن النساء يصعن حين يتكلم الرجال ..
- الوحش !

ثم فكرت قليلاً .. فخطرت لي فكرة ..
(جوستاف) .. قل لي .. بالطبع في هذه الحانة مكان للعيش .

- طبعاً .. ككل حانة قذرة في العالم ..
- إذن قل لصاحب الحانة إننا نطعم في المبيت عنده ..
- لكن لماذا ؟ .. هناك الخان .. والكنيسة ، و ...
- لا .. أريد المبيت هنا ..

- هل سال لعابك عند رؤية أول فتاة في القرية ؟ ..
إنها ليست

- لم أزعم هذا لحظة .. فقط أريد أن أكون جوارها في هذه الليلة ..

ليلة مسخ الذنب ..
- بالها من رومانسية ! .. كم أنت متهبو العواطف يا أبناء البحير المتوسط !

هل أنا أحلم أم أنها تتحدث الإنجليزية ؟ .. إنجليزية
 رديمة في الواقع لكنها مفهومة ..
 - أنت .. بالذنب .. تهتم ؟
 - أنا نعم ..
 خيل لي - لا أدرى لماذا - أنها سلوكمني أكثر لو تحدثت
 بلغة إنجليزية ركيكة وهو رد فعل تلقائي تتخذه حتى في
 العربية حين يحدثنا أحد الأجانب بلغتنا ..
 - الذنب .. هو هنا ..
 - أين ؟
 - في .. الحانة .. هذه ! ..

www.liilas.com/vb3

Ballack

الحسامة الباردة تدق الباب لتقول شيئاً ما بالرومانية
 يقتلكني فقللا ..
 فتحت الباب ملهوفاً فوجدت صاحب الحانة البدين
 يضحك لى كائفاً عن أسنانه التخرا .. أرق ابتسامة
 استطاع أن يرسمها على وجهه .. أعوذ بالله ! .. ناولنى
 منشطة معزقة وصابونة ملوثة بالشحوم ثم انحنى ليوحى
 إلى أن الخدمة ممتازة .. وانصرف ! ..
 واضح تماماً أنه هو الذي سيرعاى في هذه
 الغرفة ! ..
 كانت الساعة الآن الثانية ظهراً .. لم يكن هناك داع
 لاصناعية اليوم كله في حظيرة الخنازير هذه ، لهذا أزمعت
 أن الحق (جوستاف) في الحانة بالطابق السفلى كى نقرر
 ما نفعله بقيمة اليوم ..
 الباب يدق ثانية .. لاشك أن الوغد سيعطيني هذه المرة
 فأزار مينا لوجبة الغداء .. اتجهت إلى الباب وفتحته فرأيت
 (إيكاترينا) ! ..
 ولكن قولوا لي .. هل يوجد أجمل ولا أنقي من هذا ؟
 - جئت .. أقول ..

٦ - من هو؟

قالت وهي ترتجف كالورقة :

- أنا هاجمنى من شهر .. فى المخزن يفعل .. أنا ..
 أهرب .. أنا أخرج ذنب .. هو .. جرح فى رأس ..

انها قصة مشوقة ! .. إنن لقد هاجمها المذعوب
 الشهر الماضى وقد استطاعت أن تفر وأن تجرحه فى
 رأسه ، وهكذا حين أشرق النهار كان هناك واحد م逎وح
 ان رأس تعرفه هي .. وهو الآن يشرب الخمر فى الطابق
 السفلى من الحانة ! ..

- ومن هو ؟ ..

- هو .. لا أعرف .. يلبس ..
 غطاء رأس ؟

- نعم .. نعم .. غطاء رأس ، (استيان) يلبس ..
 (ميلو إنساتاد) يلبس .. (كوثار يلبس) .. (جورج) ..
 (ستيفانو) .. رأس ..

- هذا طبيعى يا صغيرتى ، فى هذا الطقس حتى
 الشيطان نفسه يلبس غطاء رأس ..

- لا .. لا .. هو .. هم أبداً يخلعون لا ..
 هل فهمت هذا الجزء ؟ .. إنها نقطة هامة .. من
 الطبيعي أن الرعاة يشربون ويمسكون وينشاجرون ..



لا تتعلق بالذاكرة .. (جورج) قالت .. (وستيفانو) ..
ثم .. ثم .. (كتار) .. كلا .. (كوتار) .. ثم (ميلا) .. يقى
واحد ، (استيان) .. بالطبع هو (استيان) الجالس على
هذه العائددة معنا .. تأملته وتأملت وجهه المشعر وهو
يتحدث مع جوستاف ، مفهوم تماماً أن تعتقد الفتاة أن هذا
الرجل مذعوب .. فهو لا يحتاج لأنابيب ومخالب كي يغدو
مرعياً .

ولكن كيف ولدت أسطورة المذعوب ؟ .. إن نفس
النفحة تتكرر بشكل أو باخر في رائعة (ر. ل.
ستيفنسون) (الدكتور جيكل والمستر هايد) ، الرجل
الطيب الشريف الذى يتحول فى ظروف معينة إلى شيطان
مفترس .. هل هي فلسفة إنسانية ما تتحدث عن أن لكل
منا جانبيين : أبيض وأسود ؟ !

هل هي محاولة ساذجة لتفسير حالات الانفصام التى
يتحول فيها الشخص الى نقيضه دون سبب واضح ؟ ! ..
على كل حال فال فكرة مفزعية ولا انكر هذا لحظة .. وأعتقد
أن تحول (جوستاف) أمام عينى الى منسخ ذنب لكفرين
 يجعلى آخر ميتاً دون أن أنطق بحرف ! ..
الساعة الآن الخامسة مساء ..
اقربت من (جوستاف) - ورانحة الخمر من فمه تكاد
تقتلى - وقلت له :

لكن هناك خمسة لم يحدث طلبة الشهر الماضي تحت أية
ظروف أن استطاعت رؤية رعوسمهم عارية ، هذا التشبت
المرrib بتفطيلية الرأس أثار شكوكها ..
فكرة ذكية .. لكن هناك حقيقة لا يجب تناسيها ألا وهو
أن الفتاة محبولة .. محبولة تماماً ! .. إذا تخافضينا عن
جمالها وضعفها ورجفتها ..
- تسامعني هل أنت ؟

- نعم يا صغيرتي .. أساعدك أنا سوف ! .. لكن كيف
أخلى عن قناعاتى وثقنى بالعلم لأضع ثقى فى قصتك
المليئة عن هرج الرأس .. القصة التى ستؤدى الى ذبح
أول مسكين يتصادف أن عارضة الشباك ضربت رأسه أو
قدفه طفل شقى بقالب طوب ؟
ربت على كتفها مطمئناً .. وأوصلتها للباب فخرجت
وهي ترسم علامه الصليب ..
نزلت إلى العانة .. الطابق السفلى فوجدت (جوستاف)
جالماً على مائدة مع (استيان) وقد صار ثملأ تماماً ،
جلست على نفس العائددة ومضيت أتمام وجوه الرجال
الخشنة وهم يصفيون ويمزحون مزاهاً فطا سميغاً كله
لكلمات وشتائم ، أحدهم هو المذعوب كما قالت هي .. ولكن
من هو ؟ .. أى أسماء نكرتها ؟ .. إن هذه الأسماء

الدهشة .. ورأيت كل العيون تنظر إلى فى كراهية أو احتقار أو شك ! .. وصاح أحدهم مستنكراً ..
- ماذا قلت لهم أبىها المعنوه ؟

- قلت لهم ما تزيد دون لف أو دوران .. قلت لهم إن السيد القاسم من مصر يرحب - بعد إذنكم - فى مشاهدة رعوسكم عارية !!
- يا لك من أحمق !

لقد كان ثملاً .. ووضعني فى موقف ليس مجرد فقط بيل هو خطير على حياتى أيضاً .. كلهم ينظرون إلى وقد كوروا قبضاتهم .. هناك من اعتبرها إهانة وهناك من اعتبرها حماقة وهناك من اعتبرها نزوة ، واحد فقط - بلا شك - أدرك أننى أعرف كل شيء !

اقتراب (استيان) منه وهو يرميلى بنظرة نارية .. ثم ضرب العائد بقبضته ، وشرع يصرخ بكلام كثير أدركت بصعوبة أنه موجه لي ..

قال (جومسناف) :

- إنه يقول إنك رقيق وسمح وابن ...
- أنا أفهم هذا الجزء ! ..
قلتها وأنا أرجف ..
- ويقول إنه يطلب تفسيراً ..

- هل هناك طريقة ما تجعل هؤلاء الرجال يخلعون أغطية رءوسهم ؟
- ماذا ؟ !

- أريد رؤية رءوسهم عارية ! ..
- هل جئت ؟ .. أولاً فورت فجأة العبيت هنا .. والآن تزيد رؤية رءوس الرعاة .. إن الصفع ...
- لا .. لا .. نم يتجمد مخى ، أرجوك افعل شيئاً ! ..

- دعني أفك ..
- يمكنك مثلاً أن تدعوهם لشرب نخب ما وأن يخلعوا قبعاتهم فى صحة هذا النخب .

- هل تزعج ؟ ! .. لستنا فى ناد بلندن .. إن هؤلاء السيدات أبعد ما يمكنون عن الرقى ..
- إذن فلنحضر أيقونة أو شيئاً مقدساً لنغيرهم على خلع أغطية رءوسهم تحية له ..

- إنهم لا يعزون رءوسهم فى الكنيسة نفسها ..
- إذن ..

وهذا نهض (جومسناف) متربضاً حاملاً الزجاجة فى يده .. وقال :

- هناك طريقة أسهل وأضمن ..
وصاح بالرومانية بشيء ما .. فتعالت صيحات

فأفاق (ميلا) من إغفاءته القصيرة على مائدة البار
و جاءنا وهو يصلح غطاء رأسه المصنوع من فراء
الثعالب ..

- (جورج) !!

فجاء شاب ملتح يضع على رأسه غطاء من الجلد ،
الثالث (استبيان) إلى باقى الرجال وقال شيئاً فساداً
التوتر .. ونهض أحدهم لكنى يطلق الباب .. باب الحانة ..
وبدأ الرجال الذين ناداهم يশمرون عن أذرع them .. فند
فهموا أنه ناداهم لكنى ينكلوا بي ! وهو أمر وارد بالنسبة
لنى لأن كلامه الكثير بالرومانيه قد يكون معناه : أن هذا
الصياد يقول إنكم مدحوبون فخذلوا بثأركم منه !
الثالث (استبيان) إلى وقال كلاماً ما .. ثم أشار إلى
الرجال ليجلسوا حول المائدة .. ثم شرع بتكلم بصوته
العميق ضاغطاً على كل حرف ..

قال (جوستاف) مترجماً :

- إنه يحكى ما قلتة أنت .. ويقول لهم يا رفاق .. إن
المذعوب هو أحد الخمسة الجالسين على هذه المائدة ..
إنه يدعوه لكتشف رحوسهم ويفتضم إنه سيفجر رأس من
لا يفعل برهناسن يندقيته ..

وفي بطيء واستسلام بدأ الرجال يعزرون رحوسهم ..
الصمت يسود المكان .. والحلوق جافة تترقب
ما سوحدث .

ابتلعت ريقى .. وتحاشيت نظرات الرجال التاربة ،
وقلت :

- هل له أن يجلس لأشرح له ، بشرط أن يكون هذا دون
أن يسمعنا أحد ..

نقل له (جوستاف) معنى كلماتى ، فتوقف لحظة
يرمقنا في شك وكراهية .. ثم حزم أمره .. ثالثقت إلى
الرجال وأمرهم بشيء ثم إنه سحب كرسيه وجلس على
المائدة أمامى ..

وفى عبارات سريعة نقلت له ما قالته لي الفتاة فى
غرفتها .. وقلت له إننى أشك فيه .. وإننى أطالب بكشف
الأوراق قبل أن يحل الليل ..

قطب جبينه ورشف جرعة من زجاجة (جوستاف) ثم
مسح شاريبيه بظهر يده المشعرة .. ومضى يحدق فى
وجهى لفترة ثم نهى .. وصرخ بأعلى صوته فى
الرجال ..

- (ستيفانو) !!
فأتس له شاب على شيء من الوسامة يربط رأسه بمنديل
قذر ..

- (كوثار) !!
نهض رجل بدین قصير القامة من مقعده وجاء
لمائتنا ..

- (ميلا إمنتاد) !

٧ - المقابلة ..

أخذت الدفائق تمضي بطيئة معلقة ونحن جالسون في
الحانة ملتفون حول (ستيفانو) (ومليوانستادت) وهو
عاريا الرأس باكيان برتجفان ..
الدفائق تمضي .. بطيئة ..
فجأة صاح أحدهم بشيء ما .. فالتقت الجميع إلى
(ميلا) ..
- يقولون إن عينيه أحمرتان !

بالفعل كانت عيناه محترقتين بالدم .. لكن الأحمرار كان
في الملتحمة .. بياض العينين .. وهذا - بالطبع - نتيجة
لكثرة البكاء مع كل الحرارة والدخان والجو الخانق المحيط
به ..

- لكن هذه ليست حدقته .. إنها الملتحمة ..
- وهل تتوقع من هؤلاء الرعاة معرفة الفارق
التشريري بين الحدقة والملتحمة ؟ ...
إنها عين حمراء .. وهذا يكفي ! ..

تصاير الرعاة في حماسة وقد صرعنهم نشوة الموقف
في حين تجمد (ميلا) في مقعده وقد بدا عليه هلع
لا يوصف .. كالفار الذي وقع في المصيدة ويرى ألا داعي
لإضاعة لحظاته الأخيرة في المقاومة ..

تعزت أربعة رعوس .. ثم في حركات درامية مد
(استيان) يده لغطاء رأسه وانتزاعه ووضعه على العائد
أمامه .. لو كانت الفتاة كاذبة - في موضوع الجرح -
فساكون في موقف عسير ..
كانت كل الرعوس سليمة ..
رأسمان فقط هما رأسا (ستيفانو) و (ميلا وانستادت)
كان بهما جرح .. جرح قطعني طوبى مغضبي بخصلات
الشعر ، صاح الرجال في إثارة .. في حين أخذ الرجال
بصيحان في هلع بكلمات ما .. طبعا كل منها يشرح لهم
أين وكيف أصيب بهذا الجرح ..

عاد (استيان) يتكلم .. أن هذا الرجل قوى الشخصية
وله نفوذ هائل في قومه ، صيحات الموافقة تتعالى في
حين ازداد الرجال تعاسة .. نظرت إلى (جوستاف)
- الذي جرفته الأحداث فلم يعد يترجم - متسائلا ، فقال:
- يقول (استيان) إن الموقف صار أكثر وضوحا ..
وإننا سنجلس كلنا هنا طيلة الليل حتى يتحول أحد الرجالين
إلى مذعوب .. وأن السماء هي التي ستتحمل القرار ..
ولكن كيف يقتل المذعوب عندنذا ؟

- أول علامات التحول هي أحمرار حدقتين العينين ..
وهو سيرا بهما كالنصر بانتظار أول بادرة من أحدهما
عندلذا سيدفعه بسكن الفضة قبل أن يكتم تحوله !

★ ★ ★

lilas



وَهَا سَمِعْتُ صَوْتَ زَنْبِرٍ وَحْشِيًّا .. رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتَنِي أَمَامَ الْمَذْعُوبِ !!

شعرت بالفتثان .. وبأنقى على وشك إفراج معدني
فتحامت على نفسي متوجهًا للباب .. ناداني (جوستاف) :
ـ ماذا هناك يا رفيق ؟

ـ قَنْ ! ..

ـ والمذعوب ؟

ـ أَسْتَمْ تَحْجِزُونِهُ هَنَا ؟ ..

وَفَتَحَتِ الْبَابُ الْخَشِينِ .. وَفِي الْخَارِجِ .. كَانَ الْجَلِيدُ
وَهَوَاءُ الْلَّيلِ الْبَارِدُ .. شَعَرْتُ أَنْقَى أَحْسَنَ حَالًا ، لَكِنَّ فِي
أَعْمَاقِيِّ كَانَ شَعُورُ مِنَ النَّدَمِ عَلَى كُلِّ هَذَا الَّذِي تَسَبَّبَتِ
فِيهِ .. رِبِّما أَدْتَ حَسَاقَتِي إِلَى مَذْبَحَةِ .. لَكِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ
الحلُّ الْوَحِيدُ الَّذِي وَجَدْتُهُ لِإِنقَاذِ حَيَاتِي أَنَا مِنَ الْمَازِقِ الَّذِي
أَدْتَ بِي إِلَيْهِ حَمَاقَةً (جوستاف) .. وَطَبِيعًا كَانَتْ حَمَاقَةً
(إِيكَاتِرِينَا) هِيَ التِّي بَدَأَتْ سَلِسلَةَ الْحَمَاقَاتِ هَذِهِ التِّي
سَتَرْدِي إِلَى ذِيْجَ (مِيلُو) أَمَامَ عَيْنِي ..

كَانَ صَخْبُ الرِّجَالِ يَتَعَالَى دَاخِلَ الْحَانَةِ خَلْفَ النَّافِذَةِ ..
وَكَنْتُ أَنْدَرُكَ أَنْ عَلَى أَنْ أَجِدْ مُخْرِجًا مَا .. وَلَكِنْ
مَا هُوَ ؟ ! .. لَا أَحِبُّ أَنْ أَرْأَى إِنْسَانًا يَمُوتُ لَأَنَّهُ أَصْبَبُ
بِالْتَّهَابِ فِي الْمُلْتَحَةِ .. وَلَكِنْ كَيْفَ أَمْنِعُ ذَلِكَ ؟
وَهَنَا سَمِعْتُ صَوْتَ زَنْبِرٍ وَحْشِيًّا .. رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتَنِي
أَمَامَ الْمَذْعُوبِ !!

وفي داخل الحانة أجلسوني ومسحوا وجهي بخرقة
مبللة .. وقدموا لي شيئاً في قدح شربته قبل أن أسأل
ما هو . أحاط (جوستاف) كتفه في لفحة .. وسأله :
- ماذا حدث ؟
- هو ! ..
- (بيلاسكون) ؟
- نعم ..
- يا للسماء ! .. إنـه هو ليس (ميـلو) !
- وهـل شـكـتـ أـنـتـ فـي ذـكـ ؟
- (إنـه منـ هـوـ) ..
- لا أـدـرى .. لـكـنـ لـكـمةـ رـهـيـةـ كـادـتـ تـقـاـ عـيـهـ
الـبـيـرـى ..
استدار (جوستاف) للرعاة وشرع ينقل لهم كلامي ،
بدت معالم الخلاص على وجهي الشابين المتهمنين .. في
حين أخذ الكل يترثرون في حماسة .. غداً بالطبع سيكون
يوماً وبيلاً على كل من تلقى طوبية أو ضربة على عينه
البيـرـى .. لـكـنـهـ مـاـ زـالـواـ يـرـمـقـونـنـيـ بـنـظـرـاتـ الشـكـ
وـالـتـحـفـزـ .. (استبيان) يـشـيرـ إـلـىـ وـيـقـولـ شـيـئـاـ مـشـئـاـ ..
(جوستاف) يـصـرـخـ فـيـ بـحـمـاسـةـ نـاقـيـاـ لـلـكـ الشـءـ .. مـاـذاـ
حـدـثـ ؟

- مـاـذاـ هـنـاكـ يـاـ (جوـسـتـافـ) ؟
- لـاـ شـيـءـ .. يـرـونـ التـخـلـصـ مـنـكـ الآـنـ ! ..

هل سقط أحدكم في قبضة مذعوب من قبل ؟ ! .. إنـ
الـذـيـنـ عـاـشـواـ هـذـهـ التـجـرـبـةـ يـمـكـنـهـ تـجاـوزـ هـذـاـ الجـزـءـ .. أـمـاـ
مـعـدـاءـ الـحـظـ الـذـيـنـ لـمـ يـحـدـثـ لـهـمـ هـذـاـ فـلـهـمـ أـقـولـ إـنـهاـ تـجـرـبـةـ
شـنـيـعـةـ ! .. أـنـ تـرـىـ أـمـامـكـ كـانـاـ عـمـلـاـ فـرـتـدـيـ ثـيـابـ بـشـرـيـةـ
لـكـ وـجـهـ وـجـهـ ذـنـبـ ضـخـمـ .. وـيـدـاهـ مـخـالـبـ ذـنـبـ ..
وـصـوـتـ صـوتـ ذـنـبـ .. وـيـقـفـ عـلـىـ قـمـيـهـ ، عـيـنـاهـ حـمـراـوـانـ ..
كـالـنـمـ .. وـفـمـ مـفـتوـحـ يـكـشـفـ عـنـ أـنـيـابـ بـيـضـاءـ لـامـعـةـ ..
وـصـدـرـهـ يـمـوجـ بـصـوـتـ حـشـرـجـ جـهـنـمـيـةـ ، وـهـذـاـ الـكـانـ
يـهـاجـمـ أـنـتـ ١١

مـاـذاـ تـفـعـلـ ؟ ! .. سـتـصـرـخـ .. لـكـنـ أـلـبـسـتـ هـذـهـ صـرـخـاتـ
نـهـاـيـةـ أـكـثـرـ مـنـهـاـ صـرـخـاتـ اـسـتـفـاغـةـ ؟ .. حـاـوـلـ أـنـ تـهـرـبـ
فـوـقـ الـجـلـيدـ الـمـنـزـلـ لـكـنـهـ حـتـّـاـ أـسـرـعـ مـنـكـ ، حـاـوـلـ أـنـ تـرـكـهـ
أـوـ تـضـرـبـ لـكـنـهـ صـلـبـ كـجـارـ ..
سـتـسـقـطـ عـلـىـ الـأـرـضـ مـنـكـورـاـ وـهـوـ يـجـشـمـ فـوـقـ
كـالـكـابـوسـ وـمـخـالـبـ تـمـزـقـ لـحـمـ وـجـهـكـ .. وـبـقـوةـ يـاـسـةـ
تـوـجـهـ لـهـ لـكـمـ قـوـيـةـ فـيـ عـيـنـهـ الـحـمـراءـ .. فـيـصـرـخـ ..
وـيـنـهـضـ مـنـ فـوـقـكـ .. وـفـيـ الـلـعـظـةـ التـالـيـةـ يـحـرـطـ يـكـ الرـعاـةـ ..
وـفـدـ خـرـجـواـ مـنـ الـحـانـةـ عـلـىـ صـوـضـاءـ الـمـعرـكـةـ ...
.. وـيـلـرـ هـذـاـ الـوـحـشـ بـيـنـ التـلـوـجـ ..
هـذـاـ هـوـ يـالـصـبـطـ مـاـ حـدـثـ لـيـ ! ..

ولا في رومانيا كلها .. بل سأكون في مصر حيث أكتب
وادي النيل السعيد بأسطورة الرجل الذائب .. أى أن
رومانيا مستنصر عدو المذعوب إنني إفريقيا كلها !!
تكلفي هذه الآثار للليلة واحدة ..

وفي تؤدة نهضت ، وفي خطوات ثانية صعدت السلام
فلم يعرض طريفي أحد .. اتجهت لغرفتي القبرة ..
وخلعت حذاني وارتميت فوق الفراش وأناأشعر به يعلو
ويهبط .. يا له من يوم ! .. يا له من يوم ! ..
الباب يفتح في صرير بطيء .. فليكن هذا هو المذعوب
أو الشيطان نفسه .. فلن أستطيع النهوض ولا المقاومة ..
إذا كان يريد افتراسي فليفعل دون أن يوقظني .. هذا صوت
(إيكاتربينا) الناعم ..

- هل شيئاً تريد .. سيد ؟
قلت وعيناي مغمضتان :

- لا يا ملکي .. لا .. شـ .. شـ .. شـ ..
أغلقت الباب وخرجت .. ثم فتحته وأدخلت رأسها
الأسود الصغير :

- شـ .. من أجلـ .. سـ .. سـ ..
وخرجت ..
الفراش يحوج بي .. لكم أنا متعب ..

* * *

نور النهار يدخل من الشباك ، أفتح عيني وأحرزك
أطرافي شاعرا بالقوة التي منحني إياها نوم الليلة

- ماذا ؟
- قبل أن تقتل أطفالهم ؟
- أنا .. ؟ .. كيف ؟

- في الشهر القادم .. حين تتحول إلى مذعوب ! ..
- مذعوب ؟ .. كيف ؟
نظر إلى نظرة ذات معنى .. وهمس :
- إنه جرحت في وجهك عدة جروح .. ألم تلاحظ ذلك ؟

* * *

جلست في مكانى أصغى للمناقشات والصراع وأنا
أفكر .. من الغريب أننى بالامس فى نفس الوقت لم أكن
أعرف شيئاً عن قصة المذعوب ، ليس غريباً أننى قد
انغمست - خلال أربع وعشرين ساعة - فى المشكلة إلى
حد أننى أتأنا نفسي فى طريقى لاكون مذعوباً ! .. يا له من
تقدى !!

كنت أعرف تماماً أن القصة لا حظ لها من الصحة ..
وأن هذا الذى واجهنى فى الخارج هو شيء له تفسير
علمى . لكن المشكلة العاجلة الآن كانت هى مواجهة
هؤلاء الحقى المسعورين الذين لا يرون دون سوى الدم ..
بصعوبة - رغم سكره البين - استطاع (جوستاف) أن
ينفذ حياته بأن أقنع الرعاة أن يتربثوا .. وأن يرتفعوا بي ،
مع التأكيد على أن الشهر القادم لن يشهدنى فى القرية

٨.. مطاردة الذئب ..

صاحت في ارباك وهي تعيد الشعر لنغطى عينها :
- هذا .. في باب .. ضربته .. هو في باب ! ..
امسكت معصمها في حزم ونزعـت خصلة الشعر ..
- لا ياصغيرتى .. انتى انا الذى وجـهـتـكـ هـذـهـ الضـرـبةـ
امـسـ .. حـيـنـ كـنـتـ تـأـعـيـنـ نـورـ المـذـعـوبـ ! .. وـتـكـفـلـ الـظـلـامـ
وـالـرـعـبـ يـجـعـلـ أـتـخـيلـ قـوـةـ غـيرـ عـاـنـيـةـ لـكـ ..
- أنا .. لا أـفـهـمـ .. سـيدـ ..
- ثمـ الجـروحـ فـيـ وجـهـيـ .. لاـ يـعـكـنـ أـنـ تـحـدـثـهاـ مـخـالـبـ
أـيـ حـوـانـ .. بـلـ هـىـ أـثـارـ آـدـأـ قـاطـعـةـ رـفـعـةـ كـنـتـ تـمـسـكـيـنـهاـ
فـيـ قـبـضـتـكـ لـتـحـدـثـ تـأـثـرـاـ ..
الـدـمـوـعـ تـمـلـأـ عـيـنـيـها .. وـكـيـانـها .. كـلـهـ يـرـجـفـ .. وـ ..
وـهـنـاـ اـنـفـعـ الـبـابـ وـرـأـيـتـ أـبـاهـ صـاحـبـ الـحـانـةـ يـدـخـلـ ،
نـظـرـةـ مـشـكـكـةـ إـلـىـ الـمـوـقـفـ بـرـمـتـهـ أـقـاماـهـ عـلـيـنـا .. ثـمـ تـصـلـبـتـ
عـيـنـاهـ عـلـىـ وـجـهـ (ـاـيـكـاتـرـيـنـاـ) .. وـبـالـذـاتـ عـلـىـ .. عـيـنـهاـ
الـيـسـرـىـ .. ثـمـ فـجـأـةـ بـدـتـ عـلـيـهـ عـلـامـاتـ الـفـهـمـ ! .. أـشـارـ إـلـيـهـاـ
وـهـنـفـ شـيـنـاـ ما .. ثـمـ إـنـدـفـعـ خـارـجـ الـحـجـرـةـ وـهـوـ يـرـنـدـ
نـفـسـ الـعـبـارـةـ مـرـازـا .. لـاـ بـحـاجـ الـمـرـءـ لـكـثـيرـ نـكـاءـ كـىـ
يـعـرـفـ أـنـهـ يـقـولـ :ـ المـذـعـوبـ هـوـ اـيـنـىـ ..ـ المـذـعـوبـ هـوـ
اـيـنـىـ !!

الـهـادـىـ .. لـقـدـ غـسـلـىـ هـذـاـ النـومـ مـنـ الدـاخـلـ .. وـإـنـىـ الـزـ
لـصـافـيـ الـذـهـنـ إـلـىـ حدـ مـفـزـعـ ..
نـهـضـتـ إـلـىـ حـوـضـ الـفـسـيلـ الـقـدـرـ .. وـغـسـلـتـ وـجـهـيـ ..
وـاـخـتـسـتـ نـظـرـةـ إـلـىـ الـمـرـأـةـ الـمـكـبـوـرـةـ ،ـ كـانـ هـنـاكـ جـرـحانـ
قطـعـيـانـ طـوـبـلـانـ عـلـىـ خـدـىـ الـأـيـسـرـ ..ـ وـلـكـنـىـ طـبـبـ
وـلـاـ يـمـكـنـ خـدـاعـىـ بـسـهـوـلـةـ ..ـ مـنـ قـالـ إـنـ هـذـيـ الـجـرـحـ
هـمـاـ أـثـارـ مـخـالـبـ ذـئـبـ * ..
نـفـجـ الـبـابـ خـفـيـ .. وـرـأـيـتـ انـظـلـ الـمـحـبـ الـذـيـ فـتـىـ
ـ (ـاـيـكـاتـرـيـنـاـ)ـ تـحـمـلـ فـيـ يـدـهـ صـيـنـيـةـ عـلـيـهـاـ أـشـيـاءـ ..
اـنـمـرـوـضـ اـنـهـ تـؤـكـلـ ..ـ ثـمـ وـضـعـتـهـ عـلـىـ الـمـانـدـةـ خـفـيـ ..
وـتـلـفـتـ إـلـىـ دـونـ اـنـ تـرـفـعـ وـجـهـهاـ ..
ـ هـذـاـ ..ـ إـفـطـارـكـ هـوـ ..ـ سـيدـ ..
ـ كـانـ شـعـرـهـ الـأـسـوـدـ مـنـسـدـلاـ عـلـىـ جـبـينـهـ ..ـ لـهـذـاـ نـهـضـتـ
ـ وـاقـرـبـتـ مـنـهـ وـبـأـنـامـنـىـ دـاعـبـتـ ذـقـنـهـ الصـغـيـرـةـ ..ـ هـنـفـتـ فـيـ
ـ حـرـجـ بـاسـمـ ..
ـ أـرجـوكـ ..ـ لـاـ ..ـ سـيدـ ..ـ أـنـاـ لـسـتـ ..
ـ أـرـحـتـ اـنـخـصلـةـ الـمـنـسـدـلـةـ عـلـىـ جـبـينـهـ ..ـ هـذـاـ هـوـ مـاـ كـنـتـ
ـ أـبـحـثـ عـنـهـ ..ـ وـالـآنـ يـاـ مـلـاـكـنـ أـنـتـ فـيـ مـاـزـقـ مـرـعـ ..ـ وـإـنـكـ
ـ لـسـانـجـةـ إـذـاـ ظـنـنـتـ أـنـ اـنـسـدـالـ شـعـرـكـ يـمـكـنـ أـنـ يـنـقـذـ مـوـفـكـ ..
ـ قـلـتـ فـيـ إـنـجـلـيزـيـةـ رـصـيـنـةـ وـأـنـ أـضـفـتـ عـلـىـ كـلـ حـرـفـ :ـ
ـ (ـاـيـكـاتـرـيـنـاـ)ـ ? ..
ـ؟ ..
ـ مـاـ سـبـبـ هـذـهـ الـكـدـمـةـ حـوـلـ عـيـنـكـ الـيـسـرـىـ !!

النفث ، إليها وصحت :

- أرجوك ! .. لا وقت للتفصير ! .. اهربين الآن ! ..

.. لكن ..

- اهربين ! .. إن هؤلاء الأوغاد متغطشون للدماء ،
وستكون أسعد لحظة في حياة أبيك هي عندما تناج له
الفرصة للتضحية بك لإثبات ولاته للجماعة ! ..

.. لكن ..

- لن يفهموا شيئاً عن مرضك النفسي .. وسيلقون بذلك
أرضاً ويقتلونك بعذاب من الغضبة .

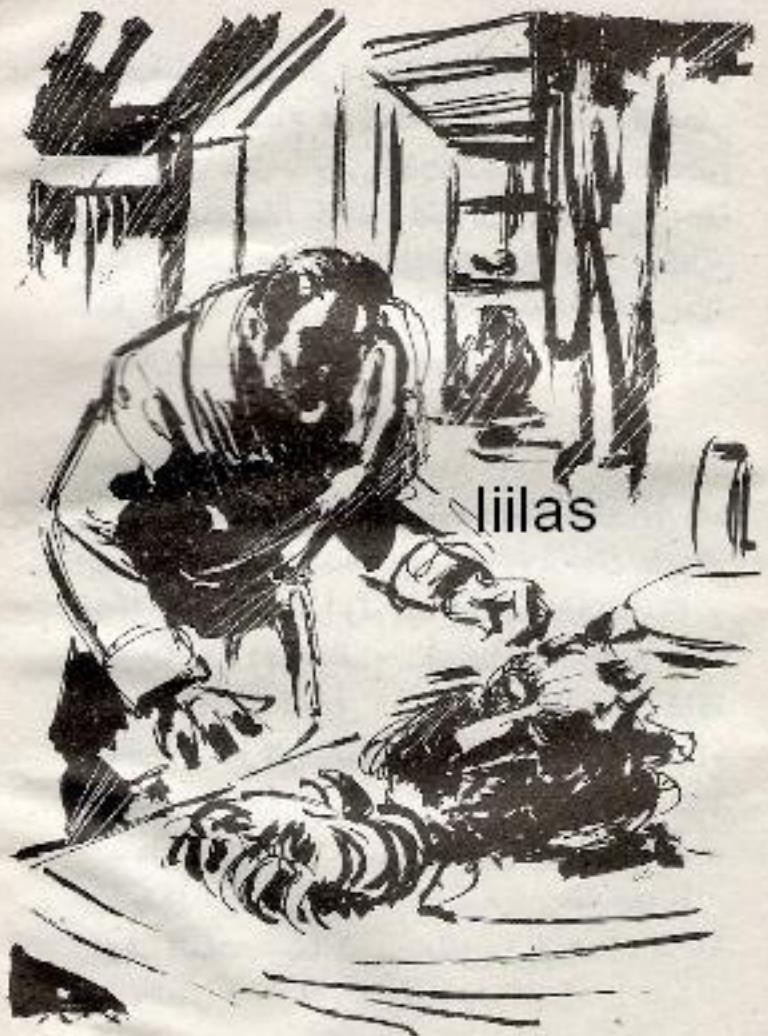
.. لكن ..

- هنا .. اذهب إلى الأب (أنطونيميكو) في الكنيسة
واطلبني للجوء .. واعترفي له بكل شيء .. أما أنا
فسأحاول أن أتفهم الموقف ، مسارح لهم .

وهذا تعالى صوت الرجال في انطابق السطلي ..
صيحات الغضب والثورة .. إنهم قادمون فقد ناداهم
المخربون ، في سرعة ودون تردد أمسكت بهم (إيكاترينا)
وفتحت الشباك - برغم الشوج المحيطة به - وفي رفق
ساعدتها على الانزلاق على طبقة الجليد العالية تحت
النافذة .. ثم أشرت إليها أن تجري .. نظرت إلى لحظة في
ترند .. ثم أطلقت ساقيها للريح ..

دخل الرجال الحجرة وقد بدا الشر في عيونهم ،
وقالوا ما معناه « أين هي » بالرومانية ؟ فأشرت
للنافذة ، عندهم أمرعوا بالنزول على الملاجم لملاحقتها
 ولم يفت (استبان) - بالطبع - أن يفتش الحجرة عدة
مرات قبل أن يصدق إشارتي ، ثم نظر إلى نظرة شك ..
ولحق بالرجال .

ووجدت نفسى وحيداً في الغرفة وربما في الحانة كلها ..
فتحت الباب .. وتقددت المكان حولي .. كانت هناك
حجرتان في نفس الطابق كلتاها مغلقة الباب ، سرت في
تؤده إلى الباب الأول وعالجت مقبض الباب الصدى ..
فوجدتني في غرفة صغيرة نظيفة نسبياً .. على الفراش
قطعة من نسيج الكاتاناه لم يتم .. وعلى المائدة في وسط
الغرفة زهرية ورد رقيقة بها زهور ذاتية لا أعرف
اسمها ، كل شيء يدل على أنها غرفة أنش .. (إيكاترينا)
على وجه الخصوص .. ثيابها ملقاة في إهمال على كرسى
خشبي جوار الفراش .. ثم ديوان شعر مكتوب بحروف
سلافية لا تعرف حتى الوضع الصحيح للإمساك به ..
كان تصرف في وقحاً وطفيلياً لكنني كنت أريد أن أعرف ..
لهذا مددت يدي المرتجفة الباردة إلى حشية الفراش
وقلبتها ..
كان هناك كيس قماش كبير مربوط بعنابة ، فتحته



هذا - على الفراش - ارغمي رأس المذعوب الذى هاجمى أمس .. قناع
مصنوع باتفاقان .

ومدت يدى فيه فشعرت بشء كالفراء وأشياء كقطع
بلاستيك مدببة .. قببت الكيس عن الفراش فوجدت
ما توقعته ..

هذا - على الفراش - ارتمى رأس المذعوب الذى
هاجمنى أمس .. قناع مصنوع باتفاقان غير عادى يكسوه
الفراء .. واعينان حمراوان مضيقتان لكنهما سمحان
للباس القناع أن يرى من خلفهما . وكان الفت النسقى
المتهى بالأنبياء متحركا ، تحفة فنية حقيقية ..

وهجوار القناع كان قفازان من الفراء مزودان
بالمخاب ، ثم شء يشبه حزام النجاة فى السفن
والطائرات .. عباره عن أداة لتضخيم حجم الصدر
والاكتاف حين ثليس تحت الثواب ..

ثم - والأهم - أداة قاطعة دقيقة ، ومجموعة سكاكين
مختلفة الأحجام يمكنها تمزيق فبل
وأخيرا صورة شعبية صغيرة لشاب وسيم حليق
الوجه بيتنسم في بلاهة .

الآن أفهم كل شيء .. (إيكاترينا) هي (بيلاسكو)
المذعوب الذى دوخ القرية وأفزع رجالها حتى الموت ..
هي أعدت هذه الثواب المتفقة لنفسها .. وشرعت تخرج
في كل ليلة مقمرة بحثا عن التعمس الذى يوقعه حظه العار

- أول شيء .. متذهب للكنيسة لتواجهها بما نعرف ..
- ثم ؟

- ثم تنتدبر أخفاء الأمر أو إعلانه حسب ما يكون
تضليلها .. قد تكون قاتلة تستحق الإعدام وقد تكون
مريضنة انفصام تستحق العلاج ، لكن مهما كان لن ترك
الأمر للعدالة الجماعية في هذه القرية المنكورة .. يجب
الذهاب بها (لن) (بوخارست) بأى ثمن .

* * *

في الكنيسة قابلنا الأب (أنطونيوسكي) .. سأله همساً
عن الفتاة فقال لي إنها لم تأت .. أقسمت له إننا لن
نؤذنها .. فاحتد غضباً مؤكداً أنه لا يمكن ..
إذن أين ذهبت هذه النعسة ؟ .. وهل نجح الرعاة في
الإمساك بها قبل أن أتمكن من .. علينا الآن أن نبحث
عنها ..

وهنا تذكرت شيئاً فآخررت صورة الشاب التوصيم التي
كانت في حجرتها .. وقربتها من نظارة القس ..
- هل تعرف هذا الشاب يا أبي ؟

لم يعط القس فرصة الترجمة (لجوستاف) لأنّه قرب
أنفه من الصورة .. وهتف :
- أه ! .. (ميغيليسكي) !

١٤٥

في قبضتها ، ومع كل الرعب والمقاومة لم يكن أى واحد
على استعداد للدفاع عن نفسه .. لم يحاول أى واحد على
الإطلاق أن يفعل .. وفي الظلام كانت تمزقه بالسكاكين
التي تخفيها معها .. ثم تفرز وتعود دورها الأصلي .. أبهة
صاحب الحانة الرقيقة ، ومن حين لآخر تخبر المغفلين
أمثال بقصة المذهوب مجرّوح الرأس ..
ولكن لماذا تفعل ذلك ؟ .. لماذا ؟ ..

* * *

- د . (رفعت) :
هذا صوت (جوستاف) يناديني .. لقد استيقظ الآن فقط
من نومه بعد إجهاد السكر ليلة أمس ، وقد بحث عنى في
الحانة فلم يجد لي أثراً ولم يجد أحداً يسأله ..
.. هذا أنا يا (جوستاف) .. أنا هنا ..

صعد إلى في الطابق العلوى حيث وقفت في غرفة
(إيكاترينا) .. وعلى الفراش وجد شاب المذهوب ، فصاح
في غباء :

- هل .. هل قتنته ؟ وسلخته أيضاً ؟
- يا لك من معنوه !
وفي كلمات سريعة شرحت له كل شيء ..
- والعمل ؟

١٤٤

- ما التفسير الذي قدمه (ميخائيلسكي) لفقد ساقه ؟
 - قال لهم إنه فقد وعده ثيلاً في أثناء سيره في الغابة .. وحين أفاق لم يجد ساقه .. ووجد الجرح مريوطاً ببراعة كى لا ينزع ، من ثم جر نفسيه إلى داره .. وارتدى فوق فراشه مفترياً عليه حتى أيقظوه صياحاً ليتهماه بأنه مذعوب !

قصة غريبة صعبة التصديق ، لكن إذا تخيلنا - بشء من التعمادي - أن (ستيفانو) كان يحب (إيكاترينا) هو أيضاً .. يمكننا أن نكمل القصة .. كان يستطيع أن يضرب الفتى في أثناء سيره في الغابة ، ويقطع ساقه بالفأس .. ويضمدها .. ثم يجري للقرية ليعلن قصته المزيفة عن المذعوب ، وبهذا يتخلص من منافسه بطريقة نظيفة وبحكم إعدام جماعي .
 لكن (إيكاترينا) كانت هناك ، وقد فررت أن تكافئ القرية بمذعوب حقيقي !

★ ★

آخر سؤال وجهته للقس قبل أن تنهى حديثها كان :
 - كيف بدأت قصة المذعوب في القرية ؟
 نقل له (جوستاف) مسؤولي ، فهز رأسه في ارتباك .. وابتسم وشرع بتكلم .. قال (جوستاف) :

ثم قال بعض كلمات أخرى .. ورسم علامة الصليب ..
 قال (جوستاف) :
 - يقول إن اسمه (ميخائيلسكي) ..
 - هذا واضح ! .. أنا لمت حماراً على كل حال ..
 - وأنه ابن العمدة .. كان مذعوباً وهاجم (ستيفانو) ، لكن (ستيفانو) أطاح بمساقه بالفأس ، وفي الصباح بدأ قصة عن ظروف بتر رجله منتفقة وسخيفة لهذا أدركوا أنه مذعوب .. وقتلوه ! ..

- وبالطبع هذا الفتى كان يحب (إيكاترينا) ؟
 دارت محادثة مريعة بينهما أدرك من خلالها أن الإجابة نعم .. إذن هذه هي القصة .. قصة حب عنيفة بين الشابين مرهقى الحسن .. ثم تفقد الفتاة حبيبها نتيجة خرافية أو قصة مغرضة صاحبها (ستيفانو) ، لهذا تصمم أن تنتقم وأن تحول لواليهم العاقمة إلى جحيم .. كأنها قالت : حسن .. أردتكم مذعوباً فلكلم هذا !! ، وشرعت في كل شهر تقتل أحد الذين كانوا مسؤولين عن موت حبيبها ، ثم اختارت مهنة بشعة لـ (ستيفانو) عن طريق أنا .

كانت تعرف أن رأسه مجروح لهذا أدرك أن اختيار ليلة الأمس سيؤدي لقتله كما مات حبيبها ، ولما سارت الرياح لا كما تشتته هي .. وكاد (ميلا) يفقد حياته ، ارتدت ثياب المذعوب وانتظرت كى تهاجم أول من يغادر الحانة .. وكانت أنا بلا فخر ! ..

- يتحول إلى ذئب بشري ! .. وتمرر الوقت تولد الأسطورة .. وتعيش في التلوفس ، ويستغلها بعضهم لقتل زوجته أو منافسه في الحب ، أبداً لم يوجد على الأرض رجال ثنايا .

هتف (جوستاف) في جزع :

- رائع ! .. ولكن هلا اختصرت هذه المحاضرة العلمية إلى أن ننقد الفتاة ؟

يا الله ! .. لقد نسيتها تماماً .. عمرتني نشوة أن أجد تفسيراً هذه المرة لهذا اللغو من ألفاظ التاريخ ، وللحظة ظلتني أنتي خليط من (شيرلوك هولمز) و (لوى باستير) .. وفانتي تماماً أن الوقت غير مناسب لهذا ..

- فلنمرع ! .. وأشكر لك الأبا (أنطونيسكو) بشدة ! ..

★ ★ ★

عند العقارب وجذنابهم .. الدماء تتلطخ الجليد الأبيض ..
وهم جميعاً والقوارن في صمت وقد نكسوا رعنوسهم .
على التلوج كانت معدنة وشعرها الأسود الجميل ينتشر
حولها ملطفاً بالدم والتلنج .. وفي صدرها كان نصل طويل
غانصاً إلى نصفه .. نصل من الفضة .. في حين وقف
فاثلتوها حولها يلهثون في أعياء .
لقد تأخرنا كثيراً .. كثيراً جداً .

- يقول أن هذا حديث من قرون ، منذ عهود القرون الوسطى ، عائلة (سخاروزان) الإقطاعية كانت تحكم البلاد بالحديد والنار .. لكن اللعنة أصابت نسلهم .. كان أطفالهم يولدون مذعوبين .. وكان المرض يبدأ بأسوداد لون البول ومغص في بطونهم .. ثم يتحولون لمسوخ ثنايا .

بول أسود ومغص ؟ .. مسوخ ثنايا ؟ .. إن هذا يذكرني بشيء ما .. نعم .. هو كذلك .. صحت بـ (جوستاف) :

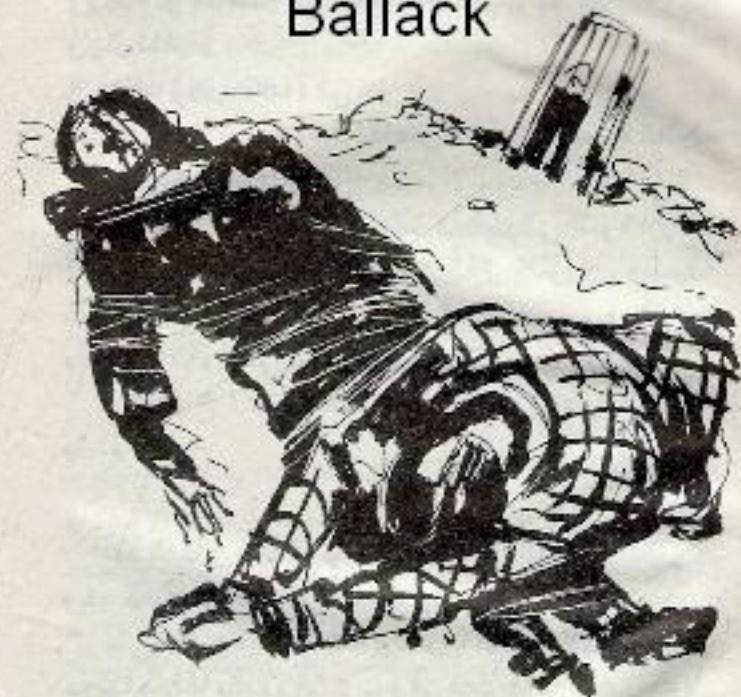
- إن القصة كانت هكذا .. لكن الحقيقة أنهم كانوا مرضى بمرض له أسباب علمية وعلاج .. هذا المرض أسماه القدامى (مرض الرجل الذئب) .. أما اسمه العلمي فهو (بورفيريا) .

هذا المرض ناجم عن اختلال تمثيل الحديد في الجسم .. من ثم تحدث أعراض عديدة منها المغص والبول الأسود ، وفي حالات نادرة تستطيل الأظفار وتبرز الأنابيب ويتجعد الجلد ، تصير الحاجب كثيفة والشفاه مشقة والعينان حمراوين .. ثم يتتجنب المريض الشمس لأنـه لا يتحملها (*) !! ..

- باختصار يتحول إلى

(*) حقيقة .

Ballack



وعلی قدميها ارتقى أحدهم ينکي ويفسليها بدموعه .
كان عاری الرأس وفی فروة رأسه جرح قطعی طویل ..
لقد فقد (ستيفانو) حبیبه الرقيقة أمام عینيه وهو الذى
فعل كل الفظائع التي فعلها لتكون له وحده .. لكنني لا أشعر
بأى نوع من الرثاء له .

أخذ (جوسťاف) ينشج في صمت ، وسائلت دمعتان
دافنتان على خدي سر عان ما تحولنا إلى ندفيتين من الثلج
جوار فهمي .

ودون كلمة أخرى تأبی (جوسťاف) ذراعي وأخذنى
بعيذا عن هذا المشهد المروع .
لقد انتهت أسطورة الرجل الذئب .. انتهت للأبد ، لكنني
لست فخورا على الإطلاق بدوري فيها .. لست فخورا
على الإطلاق .
والشمس تنغرب فوق المقابر في سكون .

★ ★ *

٩ - الخاتمة ..

في مطار (بوخارست) صافحت (جوستاف) وشكته على كل شيء ، ثم أتني طلب منه أن يكتب لي باستمرار .
تحسس الجرح الذي في وجهي وهتف باسمها :
ـ إذا تحولت إلى مذعوب يوم الخميس القادم لا تنس
أن تكتب لي ! ..

لم أبتسם .. وقلت في كآبة :

ـ أرجوك ألا تعود لهذا في خطاباتك ! ..
ـ أوه ! .. لننس الماضي ..

أشعلت سيجارة .. وتأملت المسافرين المتوجهين لصالحة
الجوازات .. وسألت :

ـ هل نشرت القصة ؟
ـ لا ..

ـ ولمه ؟ .. إنها مثيرة برغم كل شيء ..

ـ المكتب الثقافي في الحزب ..
وتكلفت حوله في حذر ليتأكد أن أحدا لا يسمعه .. ثم
أ Rif :
ـ قالوا إن قصتي خيالية .. و .. رجعية .. ولا تخدم

أيديولوجية الحزب .. ثم إنها تتهم رعاة الجنوب
بالتخلف !!

ـ ربما كان هذا أفضل ..
وصافحته للمرة الأخيرة .. واتجهت لصالحة
الجوازات ، نادتني في لفة صانحاً :
ـ حاول أن تعود لROMANIA قريباً .. تنتظرك أشياء رائعة
في قلعة الدكتور (فرانكنشتاين) !
ـ لا مفر من ذلك ! .. لكنني سأتعلم اللغة الرومانية
أولاً ..

ـ وداعاً .. يا رفيق ، تحياتي لأبي الهول !
ـ وداعاً ! ..

وأقلعت الطائرة ..

كنت أظن أنني عائد إلى عالمي الهدى الناعم ، ولم أكن
أعرف أنني سأواجه كابوساً جديداً في قريتي الصغيرة و
.... لكن هذه قصة أخرى ..

د . رفعت (سماعيل) - القاهرة ١٩٩٢

Ballack
★★★

[تمت بحمد الله]

www.liilas.com/vb3

طهورا، المطبعة
روايات تحيي الانفس
من فرط الفوضى والرعب والإثارة

جريدة الحبيب

أسطورة الرجل الذئب

المؤلف



د. احمد خالد نو菲ق

تعالوا معنی إلی غابات رومانيا الباردة
حيث أکواخ الخطابین ، تعالوا معنی إلی
اللیالي المقرمة حين يكتمل البدر .. ، تعالوا معنی
لتصفووا لصوت عواء الذئب الذى يجمد الدم في
العروق .. الذئب الذى كان رجلا .. عذ الحذر ..
ونأمل في وجهه من حولك .. فأحدهم هو ..
وحين يكتمل البدر في المرة القادمة لربما تحول إلى مذءوب
أمام عينك المذهولين .. ، وحين يهاجتك المذعوب
حاول أن تشرع منه مخلبا .. ففي الصباح قد يتحول
هذا اغلب إلى إصبع بشرى .. إصبع إنسان
تعرفه .. صديقك أو .. حبيبك ..!
تعالوا .. تعالوا إذا جرؤتم ...!

Ballack

العدد القادم : أسطورة النداهة

الفن في مصر

و ما يعادله بالدولار
الأمريكي في سائر
الدول العربية

انتظر
الموسعة العربية الجديدة
لطبع وانتشر والتوزيع
من وسائله مرتاداته
الكتابات ، العنوان : ٢٠٣٥٦ ،
العنوان : ٢٠٣٥٦ ،